جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٧-٨

رجب و شعبان ١٤٣٩هـ

إشراف

إعداد
اللجنة العلمية

الطوفان الخاسر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا، أما بعد:

فهذه نظرة عابرة في أحوال الأمة من حيث العموم، دينيًا وأخلاقيًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، وإعلاميًا، تظهر لنا الداء والذي ألمَّ بها، وهو المكر السيء الذي يحيق بها للوقيعة بها فيما ذكرت، لتزداد ضعفًا على ضعف، وانكسارًا، وليشتد الناس بها.

ولكن لما كان المسلم على يقين من حقيقة قوله تعالى: { **وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** } [فاطر: **٤٣**]

قطع وجزم بأن هذا الطوفان غوغائية، وزوبعة تسود وتظهر وقتا وسريعا ما تزول، لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: **١١٢**] ولقوله: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: **٣١**] لكن تجب التفرقة بين دين حق خاتم، ختم الله به الرسالات، وأتم به حقه على العباد، فهو عزيز دائم بعزة الله، وهو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، ورسخ وأكد على لسان رسوله ﷺ فقال: "**إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر** ".[1]

وبين أمة تتبعه في أوامره امتثالا، وفى نواهيه اجتنابا، فلها العزة والسيادة متى تمسكت به في السراء والضراء، والليل والنهار، وكل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

---

(١) صحيح البخاري (١٥٤٠).

قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال: ٢٤]، وقال ﷺ: "**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ**" (١)

فإن أعرضت الأمة وأدبرت، وتلونت، فلا عصمة لها من حيث الجملة، لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ} [الرعد: ١١] ولقوله: { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [محمد: ٣٨].

إذا علمنا هذا وفهمناه ودققناه، علمنا قطعا نهاية الطوفان الذى نراه عيانا – لا يريد إسلاما ولا أمة له. . وهذا ما جعلني أعنون مقالتي هذه بـ(الطوفان الخاسر).

والطوفان: فيضان عظيم يسيل مفرق، وإن شئت فقل: ما كان كثيرًا أو عظيما من الأشياء أو الحوادث بحيث يطغى على غيره، وإلماما بما هو واقع يتلخص في المحاربة بالقول والفعل.

وهذا ما نص عليه القرآن صراحة، كما سيأتي بيانه، وبين يدي ذلك، أذكّر ببعض القواعد والثوابت المقطوع بها عند المسلم في أصول عقيدته التي يحارب فيها محاربة شرسة بالقول والفعل.

الأولى: قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٣] ومثلها في الصف.

الثانية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٧).

اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٢٤].

الثالثة: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [البقرة: ٢٥٥].

الرابعة: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢].

الخامسة: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس: ٨٢].

السادسة: قوله ﷺ: "**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**"(١).

ما الحكمة مما ذكرت؟

١- ليميز الله الخبيث من الطيب.

٢- ليمحص الله الذين آمنوا منكم.

٣- تسلية للمسلم، وتقوية لعقيدته، ورسوخًا لها، فلا سبيل للحديث مع النفس باليأس والإحباط.

٤- اعتقادًا في قوة الملك الجبار شديد العقاب.

الطوفان الخاسر، يحارب أمة الإسلام دينيا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا وإعلاميا بالقول والفعل.

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ٥١)من حديث أنس

أما محاربتهم بالقول: ففي قوله تعالى {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [التوبة: ٣٢]، وقوله { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨].

والشاهد في قوله (بأفواههم) أي بالجدال فيه، والافتراء عليه، والكذب بأقاويلهم الباطلة، ومجادلتهم الزائغة، بكل ما ملكوه فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة! ! ! وهذا لا سبيل إليه، إذ هو عابث مختل العقل، فما أرسل الله به رسوله لابد أن يتم ويظهر على ما أراد سبحانه وتعالى، إذا هذا الذى نراه غوغائية وزوبعة، سريعا ما تزول عاجلا أو آجلا، فلا تخافوا على الدين، وخافوا على أنفسكم حال إعراضكم عنه وتمردكم عليه. فقد تكفل الله بحفظ دينه بنا أو بغيرنا فقال {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، ولقوله ﷺ(**إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر**)[1].

وأما محاربتهم بالفعل ففي قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٣٦] والشاهد في قوله (ينفقون أموالهم)، وذلك من وجوه:

١- **المال:** بطريق الإغراء المادي فبه يبيع دينه وبلده وعرضه.

٢- **النساء:** – وما أدراك ما النساء – فإذا لفت المرأة حبالها على رقبة رجل أتت به إلا من عصم

٣- **المناصب**: في تربية كوادرهم – أي المسلمين – على ما أحبوه ورغبوه – أي الكافرين – ثم يرسلوهم إلى بلادهم بلسانهم وفكرهم.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٥٤٠)

٤- إظهار الحب والولاء لهم، وليس كذلك حقيقة.

وبهذا يكون قد فرقوا شمل المسلمين دولا متنافرة متحاربة، وفرّقوا شمل البلد الواحد أحزابًا وفرقًا، ووصلوا إلى هدفهم المنشود وهو تضييع هوية شباب الأمة جيل القدوة والقيادة! ! !

ولكنّ وعد الله حق قال {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ } ومن أصدق من الله قيلا. . . قل صدق الله. . . .

أسأل الله أن يحفظنا وبلدنا مصر من مكر الماكرين وكيد الكائدين وظلم الظالمين، وأن يجعلها آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، وأن يرفع عنا البلاء والغلاء والمحن.

كتبه
صبري محمد عبد المجيد

القناعةُ كنزٌ ثمينٌ

مفهوم القناعة القناعة في حياة السلف
كيف نحصّل القناعة ثمرات القناعة وفوائدها

إن المتأمل لأحوالنا اليوم بعد انفتاح الدنيا من جميع أبوابها انفتاحاً لم يسبق له مثيل، ليشعر بالخوف على نفسه في كل لحظة من أن تأخذه الأمواج، كما أخذت غيره ممن كان يشار إليهم بالبنان في الصلاح والدعوة والجهاد.

ولو وازن أحدنا بين هم الدنيا والحيز الذي تشغله من قلبه وتفكيره، وبين هم الآخرة، وهم هذا الدين لوجد أن البون شاسع والفرق كبير، ولوجد أن الدعوة وأمر هذا الدين ظهر على اللسان والأعمال الظاهرة، أما القلوب؛ فلم يشغل منها إلا القليل، وأما الهم الأكبر فهو لهذه الدنيا ومتاعها الزائل؛ كل حسب اهتمامه ووادِيه الذي ذهب فيه من وِديانها وشعابها التي ذكر الله عز وجل أهمها في سورة آل عمران بقوله: {**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**}[آل عمران: ١٤]

ومع هذا الانفتاح الذي حل بالناس إلا أنك ترى التسخط وعدم الرضى بما رزقوا قد ازداد فيهم، وما هذا إلا لقلة قناعتهم بما أوتوا من النعم، وحينئذ لا يرضيهم طعام يشبعهم، ولا لباس يواريهم، ولا مراكب تحملهم، ولا مساكن تكنّهُم؛ إذ يريدون الزيادة على ما يحتاجونه في كل شيء، ولن يشبعهم شيء؛ لأن أبصارهم وبصائرهم تنظر إلى من هم فوقهم، ولا تبصر من هم تحتهم؛ فيزدرون نعمة الله عليهم، ومهما أوتوا طلبوا المزيد، فهم كشارب ماء البحر لا يرتوي أبدًا.

ومن كان كذلك فلن يحصل السعادة أبدًا؛ لأن سعادته لا تتحقق إلا إذا أصبح أعلى الناس في كل شيء، وهذا من أبعد المحال؛ ذلك أن أي إنسان إن كَمُلت له أشياء

قصُرَت عنه أشياء، وإن علا بأمور سَفُلَت به أمور، ويأبى اللّهُ تعالى الكمال المطلق لأحد من خلقه كائنا من كان؛ لذا كانت القناعة والرضى من النعم العظيمة، والمنح الجليلة التي يغبط عليها صاحبها(١).

مفهوم القناعة

القَنَاعَةُ: الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها. يقال: قَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً وقَنَعَاناً(٢).

وقال المناوي: القناعة لغة: الرضى بالقسمة، و عرفا: الإقصار على الكفاف ويقال الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها وفي اصطلاح الصوفية السكون عند عدم المألوفات(٣).

وقال ابن الجوزي: "القناعة الرضا بالكفاف وترك الشره إلى الازدياد"(٤).

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى { **فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**}: " وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه ولم يتكدّر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها.

وإنما قلت –الطبري–ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية، لأن الله تعالى ذكرُه أوعدَ قومًا قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال

---

(١) انظر [كتاب "فاستقم كما أمرت(ص: ٢٥٤)"، لعبد العزيز الجليل، و"القناعة، مفهومها(ص: ٣١)"، لإبراهيم الحقيل]. . بتصرف.

(٢) مفردات القرآن للراغب (ص: ٦٨٥).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي(ص: ٥٩٠).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي(ص: ١١٠٦).

تعالى: {**وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}، فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة.

ثم أتبع ذلك لمَن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفد، وما عند الله باق، فالذي أوعد أهل المعاصي بإذاقتهم هذه السيئة بحكمته أراد أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فَعَلَ تعالى ذكره"[1].

والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه:

فالوجه الأول: أن يقنع بالبلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه، وهذا أعلى منازل القناعة.

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِيًّا فَلاَ تَكُنْ عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا

وقال مالك بن دينار: أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته.

وقال بعض الحكماء: الرضى بالكفاف يؤدي إلى العفاف.

وقال بعض الأدباء: يا رُبَّ ضيق أفضل من سعة، وعناء خير من دعة.

والوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة، وهذه أوسط حال المقتنع.

قال بعض البلغاء: من رضي بالمقدور قنع بالميسور.

وقال إبراهيم بن المدبر:

إِنَّ الْقَنَاعَةَ وَالْعَفَافَ لَيُغْنِيَانِ عَنْ الْغِنَى

فَإِذَا صَبَرْتَ عَنْ الْمُنَى فَاشْكُرْ فَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى

---

(١) تفسير الطبري(١٧/ ٢٩١).

والوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سَنَح[١] فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرا، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيرًا.

وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة.

أما الرغبة؛ فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنَحت.

وأما الرهبة؛ فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت.

وقال أبو حازم الأعرج وجدت شيئين: شيئًا هو لي لن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئًا هو لغيري وذلك مما لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقي يَمْنَعُ الذي لي من غيري كما يَمْنَعُ الذي لغيري مني، ففي أيِّ هذين أفني عمري وأهلك نفسي.

وقال أبو تمام الطائي:

مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ ... رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولَا

لَوْ جَارَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمِهِ ... فِي الْخَلْقِ مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلاَ

الرِّزْقُ لَا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ ... يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ عَلَيْهِ رَسُولَا [٢].

القناعة في حياة السلف

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالترغيب في التعفف عما في أيدي الناس والقناعة بالرزق الطيب الحلال مهما كان قليلاً، ورفع الإسلام من مكانة ودرجة من كانت القناعة والتعفف وغنى النفس خلقاً له، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ "[٣].

---

(١) يقال: سَنَحَ لِي رَأْيٌ فِي كَذَا ظَهَرَ وَسَنَحَ الْخَاطِرُ بِهِ جَادَ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤/ ٣٣٨).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي(ص: ٢٨١).

(٣) أخرجه مسلم(٢٤٧٣).

ومعنى**[الكفاف]**: ما يكف عن الحاجات، ويدفع الضرورات والفاقات، ولا يلحق بأهل الترفهات.

ومعنى هذا الحديث: أن من فعل تلك الأمور، واتصف بها، فقد حصل على مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدُّنيا والآخرة(١).

ومعنى قوله ﷺ: **[وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ]، قال الطيبي:** "أي جعله قانعاً بما أعطاه إياه ولم يطلب الزيادة لمعرفته، بأن رزقه مقسوم لن يعدو ما قدر له.

وقال: الفلاح هو الفوز بالبغية في الدارين والحديث قد جمع بينهما. والمراد بالرزق الحلال منه؛ لأنه ﷺمدح المرزوق وأثبت له الفلاح. وذكر أمرين وقيد الثاني بـ**[قنع]** أي رزق كفافا وقنعه الله بالكفاف فلم يطلب الزيادة، وأطلق الأول: ليشتمل جميع ما هو الإسلام متناول له(٢).

والمتأمل لسيرة النبي ﷺ وحياته يجد أعظم مثال للقناعة والكفاف والعفاف كيف لا؟! وهو الذي جعله ربه أسوة وقدوة للعالمين، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١]

ولقد تشعبت القناعة في أموره وحياته كلها فتجده ﷺ:

*** قنوع في أكله وشرابه:**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّه ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي(٩/ ٦٦).

(٢) شرح المشكاة للطيبي(١٠/ ٣٢٧٩).

قَالَتِ الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ(٢).

وعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلاَّ إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ(٣).

و عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، وَخَبَّازُهُ قَائِمٌ قَالَ كُلُوا فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ، وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ(٤).

وإذا كان رسول الله ﷺ لم يشبع من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض وهي مدة عشر سنوات، وأنه ﷺ ما أكل أكلتين في يوم واحد إلا إحداهما تمر.

ونحن نأكل في اليوم الواحد ثلاث مرات-أو يزيد- من البر ومما هو خير من البر فكيف يكون شكرنا لله تعالى، وبم يكون؟ والجواب يكون شكرنا لله تعالى بلفظ الحمد لله الذي لا يفارق ألسنتنا في غالب أوقاتنا، ويكون بطاعاتنا للمنعم سبحانه وتعالى وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، كما يكون بحبه وحب رسوله ﷺ وبحب كل ما يحبانه من الاعتقاد والأقوال والأعمال والذوات(٥).

*** قنوع في فراشه:**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري(٢٥٦٧)، ومسلم(٧٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري(٦٤٥٤).

(٣) أخرجه البخاري(٦٤٥٥).

(٤) أخرجه البخاري(٥٤٢١).

(٥) عظات وعبر من أحاديث سيد البشر ﷺ لأبي بكر الجزائري(ص: ٦).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعُود، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا(٢).

تلك نماذج من عيشه وحياته صلوات الله عليه وهو الذي ملك الدنيا بأسرها، وعلى هذا سار الصحابة والتابعون لهم، فلقد تحملوا الفقر والقلة التي كانت في أول أمرهم، فلما فتحت لهم الفتوح قنعوا وأنفقوا الأموال الطائلة في سبيل الله عز وجل، ولم يكن ﷺ يتظاهر بالملك ولا يأخذه مآخذه، لأنه كان نبياً عبداً، لا نبياً ملكاً، فأسلم الملك لله، كذلك خلفاؤه أسلموا الملك لله فلبسوا الخلقان والمرقعات واقتصروا على شظف العيش، ولانوا في الحق، وحملوا جفاء الغريب، واتبعوا اثره في العبودية، فأسلموا الملك لله سبحانه وتعالى، ولم ينازعوه شيئاً منه(٣).

وهذه نماذج من عيشهم:

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ(٤).

قال ابن حجر: قوله: "لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة"، يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين(٥).

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٣٧٧)، وقال الألباني صحيح لغيره وانظر صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٣).

(٣) وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(٤/ ٣١٠).

(٤) أخرجه البخاري(٤٤٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٣٦).

وعن أم ذرة، وكانت تغشى عائشة رضي الله عنها، قالت: بُعث إليها بمال في غرارتين قالت: أراه ثمانين أو مائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسم بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فلما أمست قالت: "يا جارية هلمي فطري" فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا لحما بدرهم نفطر عليه قالت: "لا تعنفيني لو كنت ذكرتيني لفعلت"(١).

وعن عامر بن عبد الله: أَنَّ سَلْمَانَ الْخَيْرِ-الفارسي- حِينَ حَضَرَة الْمَوْتُ، عَرَفوا مِنْهُ بَعْضَ الْجَزَعِ فَقَالُوا: مَا يُجْزِعُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله؟ ، وَقَدْ كَانَتْ لَكَ سَابِقَةٌ فِي الْخَيْرِ: شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مَغَازِيَ حَسَنَةً وَفُتوحاً عِظَاماً.

قَالَ: يُجْزِعُنِي أَنَّ حَبِيبَنَا ﷺ حِينَ فَارَقَنَا، عَهِدَ إِلَيْنَا قَالَ: "لِيَكْفِ الْمَرْءَ مِنْكُمْ كَزَادِ الرَّكْبِ، فَهذَا الَّذِي أَجْزَعَنِي. فَجُمِعَ مَالُ سَلْمَانَ، فَكَانَ قِيمَتُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَماً(٢).

وقال الطبري: في اختيار رسول الله ﷺ وخيار السلف من الصحابة والتابعين شظف العيش، والصبر

على مرارة الفقر والفاقة ومقاساة خشونة خشن الملابس والمطاعم على خفض ذلك ودعته، وحلاوة الغنى ونعيمه ما أبان عن فضل الزهد في الدنيا وأخذ القوت والبلغة خاصة.

وكان نبينا ﷺ يطوى الأيام، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع؛ إيثارًا منه شظف العيش والصبر عليه، مع علمه بأنه لو سأل ربه أن يسير له جبال تهامة ذهبًا وفضة لفعل، وعلى هذه الطريقة جرى الصالحون، ألا ترى قول أبى هريرة أنه كان يشد الحجر

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم(٢/ ٤٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه(٢٤٨٠)، والدينوري في القناعة (ص: ٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣١٩).

على بطنه من الجوع، وخرج يتعرض من يمر به من الصحابة يسأله عن آي القرآن ليحمله ويطعمه(١).

كيف نحصّل القناعة

إن التزام المرء بالقناعة أمر صعب عسير على النفوس، لكنه يسير على من يسره الله عليه، لأن النفس مفطورة على حب التملك والترأس والازدياد من الأموال قال تعالى: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: ٢٠] يعني: وتحبون جمع المال أيها الناس واقتناءه حبًا كثيرًا شديدًا، من قولهم: قد جمّ الماء في الحوض: إذا اجتمع(٢).

ولا تستقيم النفوس إلا بتوفيق من الله، ثم بأخذها بالزهد والقناعة والرضى، **ومن أسباب تحصيل القناعة:**

١-الاستقامة على طريق الله جل وعلا:

وأخذ النفس بالإيمان بالله تعالى، والتعبد لله بأسمائه وصفاته، والتفكر في آثار أسماء الله وصفاته.

فالله جل جلاله هو الرزاق، يرزق من يشاء ويعطي من يشاء.

٢-اليقين بأن الرزق مكتوب مسطور:

عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ (٣).

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال(١٠/ ١٧٦).

(٢) تفسير الطبري(٢٤/ ٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري(٧٤٥٤)، ومسلم(٦٨٩٣).

٣- الإلحاح في الدعاء والمسألة:

وليكن من دعائنا "اللهم قنعني بما رزقتني"، فقد كان من دعاء النبي ﷺ، وهو من أقنع الناس وأزهدهم فكان من دعائه: " **اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا**"، أي اكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلى ذل المسألة ولا يكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا وفيه حجة لمن فضل الكفاف لأنه انما يدعو لنفسه وآله بأفضل الأحوال وقد قال خير الأمور أوساطها(١).

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي لَا يَدَعُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، أَنْ يَقُولَ: "رَبِّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ"(٢).

٤-النظر إلى من هو أقل منك في أمور الدنيا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ "(٣). أي: أحق ألا تحتقروا نعمة الله(٤).

قال ابن جرير الطبري وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه.

هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع، وفعل فيه الخير.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٦٨١)، وابن أبي شيبه في المصنف(١٥٨١٦).

(٣) أخرجه مسلم(٢٩٦٣).

(٤) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير(٢/ ٧٣٧).

وإذا تأمل ذلك وتفكره وتبين نعم الله عليه؛ علم أنها وصلت إليه ولم تصل إلى كثير من خلقه، فضله الله بها من غير أمر أوجب ذلك له على خالقه، ألزم نفسه من الشكر عليها أن وفق لها ما يعظم به اغتباطه فى معاده(١).

٥-كثرة المطالعة والقراءة في أخبار وسير السابقين الصالحين:

لقد أدرك سلفنا من الدنيا الكثير ولكنهم قنعوا منها بالقليل، وانشغلوا بما هو خير لهم من أمر الآخرة، وآثروا الباقية على العاجلة، حالهم كقوله تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣]

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ قَالَ فَإِنَّ لِي خَادِمًا قَالَ فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ(٢).

ومن نظر إلى الفارق بين الفقر والغنى يجده بسيطًا جدًا، فالغنيُّ: مهما كثر ماله لا يأخذ منه إلا ما يسد حاجته، وما زاد على حاجته فهو موضوع مدخر، فلو فرضنا أنه عنده طعام ما يكفي ألف إنسان فلا يأخذ منه إلا ما يحتاجه، ولو كان عنده من الركاب ألف مركب فلا يركب منها إلا ما يحتاجه، ولو كان عنده ألف ملبس لا يلبس إلا ما يحتاجه، ولو أنه ملك الأرض بأسرها وأراد أن ينام فلا يأخذ منها إلا ما يساوي حجم جسده، فلا يمكن أن يستعمل كل هذا في وقت واحد، فعلام يحسد مثل هذا وهو سيحاسب على هذا كله، **قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:** "أَهْلُ الْأَمْوَالِ يَأْكُلُونَ وَنَأْكُلُ، وَيَشْرَبُونَ

(١) انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٩٩)، وشرح النووي على مسلم(٩/ ٣٤٩).
(٢) أخرجه مسلم(٧٦٥٣).

وَنَشْرَبُ، وَيَلْبَسُونَ وَنَلْبَسُ، وَيَرْكَبُونَ وَنَرْكَبُ، لَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَنَنْظُرُ إِلَيْهَا مَعَهُمْ، عَلَيْهِمْ حِسَابُهَا، وَنَحْنُ مِنْهَا بَرَاءٌ"(١).

ثمرات القناعة وفوائدها

إن في القناعة فوائد وثمرات كثير ة تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والأمان والطمأنينة في الحياة الدنيا، **ومن ذلك:**

١-امتلاء القلب الإيمان بالله تعالى، والثقة به والرضى بما قسم به ورزق وقدّر، ومن رُزق الرضا والقناعة طابت حياته فلا يضره ولا يهمه من الدنيا شيء قل أو كثر ما دام على الإسلام، كما قال ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا يَضُرُّ عَبْدًا يُصْبِحُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيُمْسِي عَلَيْهِ، مَاذَا أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا"(٢).

٢-الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٧]

وقد رُوى عن الحسن البصريّ وغيره أنه قال: الحياة الطيبة: القناعة(٣).

٣-الفلاح والبشرى لمن قنع بعيشه ورزقه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ "(٤).

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (٥٩٢).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ١٩٧).

(٣) تفسير الطبري(١٧/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه مسلم(٢٤٧٣).

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ "(١).

قال الصنعاني: " فإنه بالقُنُوعِ يفوز بالأجر لعلمه بأن الله تعالى لم يزوِ عنه شيئًا يستحقه ولأنه يريح قلبه بتفرغ لعبادة مولاه فإن من زاد ماله زادت أشغاله وذهب عنه عافيته وماله"(٢).

٤-القناعةتورث المرء العزة:

فالعز كل العز في القناعة، والذل كل الذل في الطمع، وذلك أن المرء القَنُوع لا يحتاج إلى غيره من الناس فلا يزال عزيزًا، وأما الطامع فيذل نفسه بطلبه المزيد من غيره، قال أعرابيٌّ لأهل البصرة: من سيِّدُ أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاجَ الناسُ إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم، وما أحسن قول بعض السَّلف في وصف الدُّنيا وأهلها:

وما هِيَ إلاَّ جِيفةٌ مستحيلةٌ ... عليها كلابٌ هَمُّهُنَّ اجتذابُها

فإنْ تَجْتَنبها كنتَ سِلْماً لأهلها ... وإنْ تجتذبها نازعتك كِلابُها(٣).

وفي المقابل فإن "القناعة في القلب لا في اليد"، فالقناعة لا تأبى أن يملك العبد مثاقيل الذهب والفضة، ولا أن يمتلئ صندوقه بالمال، ولا أن تمسك يداه الملايين؛ ولكن القناعة تأبى أن تَلجَ هذه الأموال قلبه، وتملك عليه نفسه؛ حتى يمنع حق الله فيها، ويتكاسل عن الطاعات، ويفرط في الفرائض! من أجلها، ويرتكب المحرمات من ربًا ورشوة وكسب خبيث حفاظًا عليها أو تنمية لها.

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٥٢٢)، وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، والطبراني في المعجم الكبير(١٥١٨٢).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني(٧/ ١٦٠).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب(٢/ ٨٩٣).

وكم من صاحب مال وفير، وخير عظيم، رُزق القناعة! فلا غشّ في تجارته، ولا منع أجَراءه حقوقهم، ولا أذل نفسه من أجل مال أو جاه، ولا منع زكاة ماله؛ بل أدى حق الله فيه فرضًا وندبًا، مع محافظةٍ على الفرائض، واجتناب للمحرمات، إن ربح شكر وإن خسر رضي؛ فهذا قنوع وإن ملك مال قارون.

وكم من مستور يجد كفافًا؛ ملأ الطمع قلبه حتى لم يرضه ما قُسِم له! فجزع من رزقه، وغضب على رازقه، وبث شكواه للناس، وارتكب كل طريق محرم حتى يغني نفسه؛ فهذا منزوع القناعة وإن كان لا بملك درهمًا ولا فلسًا[1].

هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن؟[2].

(١) وانظر دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ لشحاته صقر(١/ ٢٥٧).

(٢) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار لابن درهم(ص: ٢٤٤).

أحوال أهل القبور

فتنة القبر عذاب القبر ونعيمه.

أسباب عذاب القبر كيف النجاة من عذاب القبر.

المقدمة

جعل الله الدورَ للعباد ثلاثة: دار العمَل وهي هذه الدّنيا، ودار البرزَخ، والدّار الآخِرة.

فدارُ الدنيا دارُ عمَل، يتنافس فيها المتنافسون، ويستبِق فيها المتسابقون، قال تعالى "وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى" [البقرة: ١٩٧] وقال تعالى "**وَقَدِّمُواْ لأنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ**"[البقرة: ١٢٣]، وقال تعالى "**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**" [آل عمران: ٢٩] وقال تعالى "**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**" [التوبة: ١٠٥]. فهي دارُ عمل، يعمَل فيها العِباد، ويتنافس فيها المتَنافسون، والسعيدُ من سَبقَت له من الله السعادَة، فاستغَلّ عمرَه فيما يُرضِي الله عنه.

ودارُ الآخرة هي دار الجزاء على الأعمَال، **قال تعالى "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى" [النجم: ٣١].**

ودارُ البرزخ، وهي بين الدنيا والآخرة، ألا وهو هذا القبر الذي يسكنُه العبد بعدَ مفارقتِه الدّنيا، ويبقى فيه إلى أن يأذنَ الله بقيَام العباد لربّ العالمين، **قال تعالى "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُواْ يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ" [يس: ٥١-٥٣]، قال تعالى "يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ" [الذاريات: ٤٤].**

فالقبر إمّا روضةٌ من رياض الجنة، وإمّا حفرة من حفَر النار. القبرُ نتيجةٌ لعملك في الدنيا، فمحسنٌ يكون القبرُ عليه سَعةً وسرورًا، ومسيء يكون القبر عليه ضيقًا وحزنًا وسوءًا.

وكَانَ عُثْمَانُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ. (١)

١-فتنة القبر ومدافعة أعمال الميت الصالحة عنه.

عندما ينزل الإنسان القبر ويتخلى القريب والبعيد ويأتيه الملكان لمحاسبته فلا يجد إلا ما قدم من خير أوشر فيجد الصلاة والصيام وتلاوة القرآن وغيرها من الأعمال الصالحة تدافع عنه.

قال تعالى "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" [إبراهيم: ٢٧]

قال ابن القيم: الخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولا وأحسن فعلا كان أعظم تثبيتا. (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلاَةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح(١٣٢)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٣٦)

وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَتَقُولُ فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. (١)

٢-عذاب القبر ونعيمه

قد دل القرآن والسنة على عذاب القبر ونعيمه قال تعالى: **{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}** [الواقعة: ٨٨ - ٩٤]

قال ابن كثير: هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله. (٢)

وكان النبي يستعيذ بالله من عذاب القبر دبر كل صلاة **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ".** (٣)

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا (٧/ ٣٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٤٨)

(٣) أخرجه مسلم (١٢٦٣)

وكان يذَكِّرُ الصحابة بعذاب القبر في كثير من أحواله **فعَنْ أُمِّ مُبَشِّرٍ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ بَنِي النَّجَّارِ، فِيهِ قُبُورٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ: "اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلْقَبْرِ عَذَابٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ"**

٣-أسباب عذاب القبر

١- النميمة.

عن حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ"(١)

قال السيوطي: النميمة نقل كَلاَم النَّاس بَعضهم إِلَى بعض على جِهَة الْإِفْسَاد بَينهم فَإِن دعت إِلَى ذَلِك مصلحَة شَرْعِيَّة لم تحرم(٢)

٢-عدم الاستبراء من البول.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ"(٣)

وأخبر النبي عن وقوع عذاب القبر بسبب النميمة وعدم التنزه من البول تنبيها على وقوعه فيما هو أحرى بالبعد عنه منهما.

قال ابن القيم: أخبر النَّبِي ﷺ عَن الرجلَيْن الَّذين رآهما يعذبان فِي قبورهما يمشى أَحدهمَا بالنميمة بَين النَّاس وَيتْرك الآخر الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل فَهَذَا ترك الطَّهَارَة الْوَاجِبَة وَذَلِكَ ارْتكب السَّبَب الْمُوقع للعداوة بَين النَّاس بِلِسَانِهِ وَإِن كَانَ صَادِقا وَفِي هَذَا تَنْبِيه على أَن الْمُوقع بَينهم الْعَدَاوَة بِالْكَذِبِ والزور والبهتان أعظم عذَابا كَمَا أَن فِي ترك

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨)

(٢) شرح السيوطي على مسلم (١/ ١١٩)

(٣) أخرجه البخاري (٢١٨)

الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل تَنْبِيها على أَن من ترك الصَّلاَة الَّتِي الِاسْتِبْرَاء من الْبَوْل بعض واجباتها وشروطها فَهُوَ أَشد عذَابا. (١)

٣-هجر القرآن.

عن سمرة بن جندب ﷺ وفيه أن الملك قال للنبي ﷺ "والَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"(٢)

٤-كيف النجاة من عذاب القبر

١-الاستقامة على طاعة الله واتباع هدي النبي ﷺ وهذا أعظم سبيل للنجاة من عذاب القبر.

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]

قال الشاعر: تزود من معاشك للمعاد. . . وقم لله واعمل خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيراً. . . فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم. . . لهم زاد وأنت بغير زاد؟ (٣)

٢-اجتناب الأسباب المؤدية لعذاب القبر كالكذب والزنا والربا وهجر القرآن والغيبة والنميمة.

فعن سمرة بن جندب ﷺ وفيه أن الملك قال للنبي ﷺ "أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ

---

(١) الروح (ص: ٧٧)

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٦)

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٣٠٦)

بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا.
"(١)

٣-وَمن انفع الأسباب المنجية من عذاب القبر

كما قال ابن القيم: أن يجلس الرجل عِنْدَمَا يُرِيد النّوم لله سَاعَة يُحَاسب نَفسه فِيهَا على مَا خسره وَربحه فِي يَوْمه ثمَّ يجدد لَهُ تَوْبَة نصُوحًا بَينه وَبَين الله فينام على تِلْكَ التَّوْبَة ويعزم على أَن لَا يعاود الذَّنب إِذا اسْتَيْقَظَ وَيفْعل هَذَا كل لَيْلَة فَإِن مَاتَ من ليلته مَاتَ على تَوْبَة وَإِن اسْتَيْقَظَ اسْتَيْقَظَ مُسْتَقْبلا للْعَمَل مَسْرُورا بِتَأْخِير أَجله حَتَّى يسْتَقْبل ربَّه ويستدرك مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ للْعَبد انفع من هَذِه النومة. (٢)

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦)

(٢) الروح (ص: ٧٩)

مصعب بن عُمير أول سفير في الإسلام

إن الصحابة رضي الله عنهم أعلامُ الهُدى، ومصابيحُ الدُّجَى، وهمُ الذين ورِثُوا عن رسولِ الله ﷺ هديَه، وسمْتَه، وخُلُقَه، فالنظر في سيرهم، والاطلاع على أحوالهم - يبعث على التأسي بهم، والاقتداء بهديهم { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠]

وهذا عَلَمٌ مِن الأعلام ونجمٌ من النجوم الذين هم أهلٌ أن يُقتدَى بهم، إنه مصعب بن عمير رضي الله عنه، ذلكم الشاب التقي الداعية المجاهد الذي نوَّر اللهُ قلبه، فأسلم طائعا وهاجر معلما وداعيا، ومات مجاهدا شهيدًا.

نسبُه: هو مصعب بْن عمير بْن هاشم بْن عبد مناف بْن عبد الدار بْن قصي القرشي.

كنيته: أبو عبد الله، وكان يُلَقَّب (مصعب الخير).

كَانَ (مصعب) من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إِلَى الإسلام

مصعب الفتى المُدَلّل

كان في صغره وقبل إسلامه شابا غنيا جميلا مُدللا مُنَعَّما، حسنَ الوجه يَلبسُ أحسنَ الثياب وأغلاها، يعرفُه أهلُ مكةَ بعِطْره الذي يَفوحُ منه دائما، وأبواه كانا مِن أغنى أغنياء مكة، ويُحبانه حُبا عظيما، ولا يَرُدا له طلبا، بل رغباتُه وطلباتُه كلها مستجابة ومُنفَّذة.

لقد كانتْ أمه تُحِبُّه حُبا شديدًا، حتى أنها كانتْ تَضعُ أطايبَ الطعام عند رأسه وهو نائم، فإذا استيقظ أكل منه؛ فهل بعد ذلك رفاهية ونعيم دنيوي؟

قال محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل القرشي: كان مصعبُ بن عمير أعظمَ فتيان مكة شبابا وجمالا، وكان أبواه يُحبَّانِه، وكانت أُمُّه تَكسُوه أحسنَ ما يكونُ مِن الثيابِ وأَرَقَّهُ، وكان

أعْطرَ أهلِ مكةَ، وكان رسول الله ﷺ يذكُره ويقول: « ما رأيتُ بمكةَ أحسنَ لِمَّةً (شعرٌ جميل)، ولا أَرَقَّ حُلَّة (الثياب الناعمة)، ولا أنْعَمَ نِعْمَة مِن مصعب بن عمير. (١)

إسلامُ مصعبٍ

يسمع مصعب بن عمير داعيا يدعو إلى الله، ومناديا ينادي للإيمان { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الأحقاف: **٣١**]

فيسرع مصعب رضي الله عنه، **نحو الداعي مستجيبا لنداء الإيمان ولسان حاله يقول** { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } [آل عمران: **١٩٣**]

– **مصعب بن عمير** رضي الله عنه لم يمنعه ذلك النعيم مِن أن يدخل في دين الله، فآثر ما عند الله، آثر الآخرة ليحظى بنعيمها، ودخل في دين الله طاعة لله ولرسوله ﷺ ولم يقل كما يقول بعض المترفين اليوم من شبابنا: إن هذا الدين كَبْتٌ وحبسٌ للمشاعر وحرمانٌ من اللذات؟!

– **مصعب بن عمير** رضي الله عنه لم يَدفعْه جمالُه ولا منصبُه أن يجمع حولَه الشبابَ الضائع التائه المتكسر البعيد عن الرجولة لينشغل بمغازلة النساء ومعاكستهن، بل سمع دعوة الحق، فاستجاب لله ولرسوله ﷺ في وقتٍ كان المسلمون يعانون مِن أذى المشركين وتسلطهم، فأسرع للقاء النبي ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهناك أعلن إسلامه، لينضم إلى قائمة السابقين الأولين وهم أعظم الأمة شرفا وقدْراً وأجراً.

مصعب مثالٌ للثبات على الدين مع كثرة الفتن والمغريات

أسلمَ مصعب بن عُمير، فعلمتْ به أُمُّه وكانت تُحبه حباً شديداً، فحاولتْ أن تُثنِيَه عن الإسلام بعدة طرق في غاية القسوة، فلقد تعرَّض مصعب لجميع أنواع الأذى، ومع

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٠)

ذلك ضرب لنا المثال الرائع في الثبات على الدين والتمسك به مع كثرة الفتن وتنوُّعِها، ومن أنواع الأذى التي تعرَّض لها:

١ – الأذى النفسي: فلما علمتْ أُمُّه بإسلامه **خرجت** ناشرةً شَعْرَها، وقالت: لا ألبسُ خِماراً، ولا أستظلُّ، ولا أدَّهنُ ولا آكلُ طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى تدعَ ما أنتَ عليه؟ فلم يعبأْ بذلك، فقال أخوه أبو عَزيز بنُ عُمير: يا أُمَّه دَعيني وإياه فإنه غلام صغير مُرَفَّه، ولو أصابه بعضُ الجوع لترك ما هو عليه، ثم أخذه وحبسه. (١)

٢ – الأذى المادي: إذ قُطعت عنه جميع الموارد المالية التي كان يحصل عليها لاسيما مِن قِبَلِ أُمّه، حتى أصبح لا يجد ما يَلبس إلا فروة لا تكاد تواريه. فقد **قال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه إنا لجلوسٌ مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بنُ عُمير رضي الله عنه وما عليه إلا بردةٌ له مَرْقُوعةٌ بفرْوٍ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ بكى للذي كان فيه مِن النعمة، والذي هو فيه اليوم. (٢)

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُقْبِلاً، وَعَلَيْهِ إِهَابُ كَبْشٍ قَدْ تَنَطَّقَ بِهِ (يعني يَلبس فروةً من جلد)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يُغَذِّوَانَهُ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَدَعَاهُ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ ». (٣) لكنَّ مصعبا كان يعلم أنَّ ما حُرم منه في هذه الدنيا فما عند الله خير وأبقى، لذلك لم يتنازل أمام حرمان أمه، ولم يزدَدْ إلا ثباتا ورسوخا ولسانُ حاله يقول: { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٤٠٦)

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١/ ٣٨٧) وضعفه الألباني ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٣)

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٠٨) والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٢٥٦) وضعفه الألباني في الضعيفة(١١/ ٣١٦) وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (ص: ١٦٥٧)

يَتَوَكَّلُونَ } [الشورى: ٣٦]

٢ - الأذى الجسدي: فقد ذَبُلَ جسمُه وتغيّر لونُه وأصابه مِن الجوع ما لا يستطيع الوقوف ولا المشي معه.

لمّا حاصرَ المشركون النبيَّ ﷺ والمسلمين معه في شِعْبِ أبي طالب، أُجْهِدَ مصعب رضي الله عنه فلم يَعُدْ يَقدر على المشي مع ما أصاب جسده مِن ضعف بعد ما كان مرفهاً مدللاً؛ **قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ** رضي الله عنه: كَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَتْرَفَ غُلاَمٍ بِمَكَّةَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ، فَلَمَّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَنَا لَمْ يَقْوَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّ جِلْدَهُ لَيَتَطَايَرُ عَنْهُ تَطَايُرَ جِلْدِ الْحَيَّةِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَسقُطُ فَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ، فنَحْمِلُهُ عَلَى عَوَاتِقَنَا. (١)

وهذا كلُّه يبين بجلاء نجاحَ التربية النبوية في غرس المبادئ والثبات عليها في نفوس الصحابة - رضي الله عنهم -، وهو ما نحتاجه اليوم في تربيتنا للأجيال على مبادئ الكتاب والسنة والصبر على ما يواجهونه من مصاعب في سبيل ذلك. (٢)

ولما اشتد الإيذاء بالمسلمين، هاجر إلى أرض الحبشة، ثم عاد منها إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة، لماذا يا تُرى؟ ولماذا المدينة بالذات؟

أول سفير للإسلام

لقد اختاره النبي ﷺ أولَ وخيرَ سفيرٍ في الإسلامِ إلي يثرب (المدينة المنورة)، ليُعلِّم الناس القرآن ويُصلي بهم. . . إنه الشرف العظيم، والمكانة الرفيعة لهذا الشاب المؤمن

- قَدَّر مصعبٌ رضي الله عنه المسؤوليةَ التي أُنيطت به، وحَمَل لواء الدعوة إلى الله عقيدة وسلوكا وجهادا، ليصل إلى يثرب (المدينة المنورة) ليُمهِّدها لتكون دارَ الهجرة ودولة الإسلام. .

---

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٦٥٩)

(٢) سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير / لعدنان الجابري (ص: ٢٧)

– **وصل مصعب المدينةَ** ونزل على (أسعد بن زرارة) وأخذ يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يتنقل في يثرب من دار إلى دار، يتلو عليهم القرآن ويذكر لهم ما يحفظ من أحاديث الرسول ﷺ ضاربا المثلَ الطيب في العبادة والتقوى.

ولم يكن يمَّر يوم دون أن يُسلم الرجل أو الرجلان، ولم يترك بيتا إلا ترك فيه أثرًا طيبًا.

وقد أسلم على يديه في يوم واحد (سعد بن معاذ) و(أسيد بن حضير) من كبار زعماء يثرب، وأسلم بإسلامها خلق كثير.

قال ابن الأثير: أسلم عَلَى يدي مصعب، أسيدُ بْن حُضير، وسعدُ بْن معاذ، وكفى بذلك فخرا وأثرا فِي الإسلام. (١)

نعم، فلقد أسلمَ بإسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه خلقٌ كثير من قومه، **فإنه لما أسلم ذهب إلى قومه في المكان الذي يجتمعون فيه،** ووقف عليهم ثم قال: يا بني عبد الأشهل (قبيلته) كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأيا، قال: فإن كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسوله. **يقول الراوي**: فو اللهِ ما أَمسى في دارِ بني عبدِ الأشهلِ رَجُلٌ ولا امْرَأةٌ إلا مُسلما ومُسلِمة. (٢)

مكث مصعب بن عمير رضي الله عنه سنة كاملة يدعو أهلَ المدينة ويعلمهم حتى أسلمَ على يديه خلقٌ كثير، ثم خرج مِن المدينة حتى قدمَ مكة فنزل أولَ ما نزل على منزلِ رسول الله ﷺ ولم يذهب إلى منزل أُمِّه، فجعلَ يخبرُ رسولَ الله ﷺ عن الأنصار وسرعتِهم إلى الإسلام، وشوقهم إلى قدوم النبي ﷺ عليهم مهاجرا، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بكلِّ ما أخبره.

وبَلَغَ أُمَّه أنه قد قَدِمَ فأرسلتْ إليه: يا عاقُّ أَتَقْدَمُ بلدًا أنا فيه لا تَبدَأُ بِي؟ فقال: ما

---

(١) أسد الغابة (٥/ ١٧٥)

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٧)

كنتُ لأبدأَ بأحدٍ قبْلَ رسولِ الله ﷺ فلما سَلَّم على رسول الله ﷺ وأخبره بما أخبره ذهبَ إلى أُمِّه فقالت: ما تزالُ على ما أنتَ عليه مِن الصَّبْأَةِ! [١] قال: أنا على دينِ رسولِ الله ﷺ وهو الإسلام الذي رضيه اللهُ لنفسه ولرسوله. فجعلتْ أُمُّه تبكي. **فقال مصعب**: يا أُمَّه إني لكِ ناصح وشفيقٌ عليكِ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبدُه ورسوله. قالت: والثَّوَاقبِ[٢] لا أدخل في دِينِكَ فيُزْرَى برَأْيِي ويُضَعَّف عَقْلِي ولكنِّي أَدَعُكَ وما أنتَ عليه وأَقيمُ على دِيني. [٣]

وفي هذا يظهر حرص مصعب رضي الله عنه على هداية أُمِّه ودعوتها للإسلام بأسلوب كلِّه شفقة ورحمة، ولكنَّ الهداية بيد لله، حيث قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: ٥٦]

وإن دعوة الإنسان والديه للإسلام مِن أعظم البر الذي يقدم لهما.

كما يظهر ثبات مصعب رضي الله عنه على دينه وعدم تنازله عنه رغم التهديدات والصعوبات التي واجهته.

مصعب يُعلِّمُنا درسا في معنى الأُخوة الحقيقية

بعد غزوة بدر كان من بين الأسرى الذين أسرهم المسلمون " أبو عزيز بن عمير، أَسَرَه رجلٌ من الأنصار، وأبو عَزيز هذا أخوه مصعب بن عمير رضي الله عنه لأُمِّه وأبيه. فقال مصعب للأنصاري: أُشدُدْ يديك به، فإن له أُمّاً بمكة كثيرةَ المال. فقال له أبو عزيز: هذه وصاتُك بي يا أخي؟ فقال مصعب رضي الله عنه إنَّ الأنصاري أخي دونك!. فعلمتْ أُمه فسألتْ عن أغلى ما

---

(١) كان المشركون يسمون كلَّ من ترك الشرك ودخل الإسلام (صابئ)

(٢) تُقسِمُ بالنجوم، أما المسلم فلا يحلف إلا بالله

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٨٨)

فُدِي به قرشي، فقيل لها: أربعةُ آلاف دِرهم. فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. (١)

مصعب الشهيد

وتمضي الأيام والأعوام، وفي غزوة أحد، اختار الرسول ﷺ مُصعبا ليحمل لواءَ المسلمين، وتقعُ المعركة ويشتدّ القتال، وكان النصرُ بداية للمسلمين، ولكن سرعان ما تحوَّل النصرُ إلى هزيمة لمَّا خالفَ الرماةُ أمرَ رسول الله ﷺ ونزلوا مِن فوق الجبل يجمعون الغنائم، فأخذ المشركون يقتلون المسلمين الذين بدأت صفوفُهم تتمزق، فرَكَّزَ الأعداءُ على رسول الله ﷺ وأخذوا يتعقبونه ليقتلوه، فأدركَ مصعبٌ هذا الخطر، ومضى يقاتل، وهمُّه أن يُلفِتَ أنظارَ الأعداءِ إليه ليشغلهم عن رسول الله ﷺ، فتجمَّع الأعداءُ حول مصعب، فضربَ أحدُهم يدَه اليمنى فقطعها، فحمل اللواء بيده اليسرى فقطعها عدو الله، فضمَّ اللواء إلى صدره بعضديه، وهو يقول: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: **١٤٤**] فضربه ضربة ثالثة فقتله فمات شهيدا رضي الله عنه. (٢)

فلما انتهت المعركة وقف عليه رسول الله ﷺ ودعا له وقرأ: { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } [الأحزاب: **٢٣**].

وسام شرف وتزكية من سيد البشر ﷺ لهذا البطل الذي ثبت على دينه وعقيدته، ثبات الجبال إلى آخر لحظة من حياته.

كانت خاتمة مصعب الشهادة في سبيل الله. . . ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

قال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (**١٦٩**) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران: **١٦٩، ١٧٠**]

---

(١) راجع سيرة ابن هشام (١/ ٦٤٦)

(٢) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٨٩)

- **مصعب بن عمير** رضي الله عنه الشاب الذي كانت تنظرُ إليه العيون إكبارا وإعجابا لحُسْنِه وغناه ومكانته، ينسلخ من ذلك الترف والنعيم كلِّه مبتغيا وجهَ الله تعالى، وما أعدَّه لعباده المؤمنين، يُقتل شهيدا في سبيل الله، فلا يجد المسلمون عند موته كفنا يكفنوه فيه إلا ثوبا قصيرا، إذا غطوا به رأسه بَدَتْ رجلاه، وإذا غطوا به رجليه بدا رأسه، فغطوا رأسه بالكفن ووضعوا على رجليه شجر الإذخر. (١) **عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ** رضي الله عنه قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى ولَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ، شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ. (٢)

- **مصعب** بن عمير رضي الله عنه باع الدنيا، ففاز بالآخرة، قدم الرخيص، فظفر بالغالي، يأتي يوم القيامة وفي ميزان حسناته كلُّ الذين أسلموا على يديه، وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: « فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ ». (٣)

- ويأتي يوم القيامة أقوام من أمة النبي ﷺ يحملون أوزارهم على ظهورهم وأوزاراً أخرى أمثال الجبال، لما ضلوا وأضلوا من الخلق عن الحق وصدوا عن سبيل الله، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ». (٤)

---

(١) رواه البخاري (١٢٧٦) ومسلم (٩٤٠) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٧) ومعنى (نمرة) كساء ملون مخطط.

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٤٢٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٤)

- وأنتَ أيها الشاب: كم مِن الشباب اهتدى على يديك؟ كم شاب كان لا يصلي فأخذتَ بيده إلى الصلاة؟ كم شاب كان على معصية فخَّوفتَه من عقاب الله ورغَّبته في ثواب التائبين فتاب على يديك؟

إياك أن تقول: أنا ما زلتُ صغيرا؟ فأنت كبير بما تحمله في صدرك من همِّ الدين

إياك أن تقول: الدعوة ليست مسؤوليتي، ويكفيني أن أنجو بنفسي؟

قال رسول الله ﷺ: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ». (١)

- رحل مصعب الشاب كما سيرحل جميع الناس، ولكنه رحلَ عزيزا وكبيرا، لأنه عاش لدينه وعقيدته، **ومن عاش لدينه وعقيدته عاش كبيرا ومات كبيرا، ومَن عاش لنفسه وهواه وشهواته عاش ذليلا مَهينا ومات حقيرا صغيرا.**

- رحل مصعب ولم ترحل ذكراه ولا ذكرى بطولاته ولا ذكرى تضحياته من قلوب المؤمنين الأتقياء في كل زمان ومكان.

- رحل مصعب ليقول للتائهين والحائرين في البحث عن السعادة: مَن كان يظن أن السعادة في المال أو الجاه فقد أخطأ.

من كان يظن أن السعادة في النسب أو الشرف فقد أخطأ. .

من كان يظن أن السعادة في المنصب أو السلطة فقد أخطأ. .

- رحل مصعب ليقول لكل فردٍ مِن هذه الأمة، من كان يريد الرفعة والعزة والسعادة فليطلبها في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } [المنافقون: ٨].

---

(١) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه

هذه بعض الإضاءات من سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير، فهل لشبابنا أن يتخذوه قدوة لهم ويكونوا مثلَه على الأقل في مجال الدعوة إلى الله والعبادة والعمل الصالح؟

- مصعب الذي باع الدنيا بالآخرة وآثر النعيم المقيم على النعيم الزائل، ينبغي أن يكون قدوة لكل شاب مترف يتقلب في نعمة الله تعالى وأراد الرجوع إلى الله.

جَزى اللهُ (مُصعبا) خيراً عن الإسلام والمسلمين، ورضي اللهُ عنه وعن الصحابة أجمعين، وحشرنا معهم في جنات النعيم، بجوار نبينا محمد ﷺ.

فتشبّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهم. . . إنّ التشبّهَ بالكِرامِ فَلاحُ

من الدروس المستفادة مما سبق:

١- أن مقياس الرجولة والرقى ليس الغنى وجمال المظهر فقط، وإنما مقياس الرجولة الثبات على الحق مهما كَثُرتْ المغريات واشتدت الصعوبات

٢- أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٣- أن المؤمنين أخوة، وأنَّ رَحِمَ الإسلام أعزُّ رَحم.

٤- تحمُّلُ مسؤولية الدين والقيام بها على أكمل وجه

٥- أن المسلمين الأُول بذلوا الكثير، وتحملوا الشدائد والأهوال في سبيل الله.

٦- أن المسلم الصادق داعية للإسلام، ناشر لنوره، مجاهد في سبيله.

٧- السعادة الحقيقية في طاعة الله وفي العمل لدينه

٨- صبر ساعة (والدنيا ساعة) يورثُ الإنسان نعيما أبديا (جَنَّة الخُلْد)

٩- أنه يجب أن نتأسى برسول الله ﷺ وصحابته الأبرار، رضى الله عنهم أجمعين.

ثمرات العمل الصالح

إن المؤمن الصادق في إيمانه بالله عز وجل يتقلب في الطاعات من طاعة إلى طاعة، فلا ينعم المؤمن في دار الدنيا ولا يهدأ له بال ولا يرتاح، حتى يطأ بقدمه الجنة، وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بمواصلة العبادة، والاجتهاد في الطاعات حتى الممات فقال عزَّ من قائل: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩] أي: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، الَّذِي هُوَ مُوقَنٌ بِهِ(١).

وفي الحديث عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ(٢).

فليعد كل إنسان منا جوابًا على هذه الأسئلة، وليحاسب كل واحد نفسه فيما قال أو فعل أو سمع أو نظر أو تكلم أو مشى فكل امرءٍ مسئول، قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]

وقال سبحانه: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر: ٩٢، ٩٣]

فينبغي للمسلم أن يغتنم أوقاته فيما يقربه من ربه، وهنيئا لمن وفقه الله لطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

كثرة أبواب الخير والطاعات

---

(١) تفسير الطبري(١٤/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٤١٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٣٢٥٦).

إن من رحمة الله وفضله على عباده أن يسر لهم الطاعات وأكثر لهم من طرقها وأبوابها، وتابع لعباده مواسم الحسنات، ليدوم نشاط المسلم ويبقى ملازماً لعبادة مولاه حتى يلقاه.

قال تعالى: { وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا }[الإسراء: ١٩]

وفي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا؟ ، فَقَالَ: **إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ**: التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ"(١).

ومن أبواب الخير أيضًا:

١-باب صلاة النوافل:

وفي فضل صلاة النوافل أدلة كثيرة منها: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ فِي الجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا"، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِمَنْ أَطَابَ الكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ"(٢).

٢-باب الصدقة:

---

(١) أخرجه ابن حبان(٣٣٧٧)، والطبراني في الدعاء (١٧٢٩)، وقال الألباني: " صحيح لغيره" في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٣٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٥٢٧)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(١٢٣٢).

عَن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ". وقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: فَكَانَ أَبُو الخَيْرِ اليَزَنِيُّ المِصْرِيُّ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لَا يَتَصَدَّقُ مِنْهُ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً وَلَوْ بَصَلَةً(١).

فلا تحرم نفسك من ثواب الصدقة ولو بالقليل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالُوا: وَكَيْفَ؟ ، قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا"(٢).

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"(٣).

ومن عجز عن التصدق بماله، فلن يضيع منه الفضل والثواب، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى"(٤).

٣-باب صيام التطوع:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ "(٥).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه(٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٤٥١٠).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى(٢٥٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري(٥٣٥٥)، ومسلم(٩٥).

(٤) أخرجه مسلم(٨٤).

(٥) أخرجه أحمد(٩٢٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٧٩).

وعَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ"(١).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ مُرْنِي بِأَمْرٍ آخُذُهُ عَنْكَ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ"(٢).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ، عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا "(٣).

٤-باب قضاء الحوائج:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ "(٤).

آثار وثمار العمل الصالح

إن الطاعة والعمل الصالح لهما آثار وثمرات كثيرة تعود على العبد في الدنيا والآخرة، ومن أعظم هذه الآثار والثمرات:

١-محبة الله عز وجل والقُرب منه:

فالعمل الصالح سبب لحب الله عز وجل لعبده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي

---

(١) أخرجه البخاري(١٨٩٦)، ومسلم(١٦٦).

(٢) أخرجه النسائي(٢٢٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٠٤٤).

(٣) أخرجه البخاري(٢٨٤٠)، ومسلم(١٦٨).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٥٦)، وابن ابي الدنيا في قضاء الحوائج (ص: ٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢١٦٤).

بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ(١).

وفي الحديث: "أن التقرب إلى الله بالنوافل حتى تستحق المحبة منه تعالى لا يكون ذلك إلا بغاية التواضع والتذلل له. وفيه أن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وأداها"(٢).

ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز وجل(٣).

٢- يُورث الود في قلوب الخلق:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦]

أي: إن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه {سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين.

قال قتادة: "ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه، وزاده من عنده"(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ "(٥).

---

(١) أخرجه البخاري(٦٥٠٢).

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري(١٩/ ٢٨١).

(٣) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١٢٨).

(٤) تفسير الطبري(١٨/ ٢٦٢).

(٥) أخرجه البخاري(٣٢٠٩) وهذا لفظه، ومسلم(٦٨٧٣).

٣- سبب للسعادة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]

قال ابن كثير: " هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا -وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله -بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة "(١).

ولَسْتُ أرَى السَّعادةَ جَمْعَ مالٍ ... ولكن التَّقِيَّ هو السعيدُ

وتقوى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وعندَ اللهِ للأتقَى مَزيدُ

وما لا بُدَّ أن يأتي: قريبٌ ... ولكنَّ الذي يَمضي بَعيدُ(٢).

٤-البشرى من الله عند الممات:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣٠ - ٣٢]

وقال سبحانه: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠١).

(٢) الأمالي في لغة العرب، لأبي علي القالي (٢/ ٢٠٥).

٥- أمان وحجاب من عذاب القبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كانَ مُؤْمِناً، كانت الصَّلاَةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، **وَكانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكانَتِ الزَّكاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ: مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلاةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ،** فَيُؤتَى مِنْ قِبَلِ رَأسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤتَى مِنْ قِبَلِ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَل، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلاةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيَقُولُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ آذَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كان قَبْلَكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟. فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَيَقُولانِ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، أَرَأَيْتَكَ هذَا الرَّجُلُ الَّذِي كان قَبْلَكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟. قَالَ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ؟ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسولُ اللهِ ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذلِكَ حَييتَ، وَعَلَى ذلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: هذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُوراً. ثُمَّ يُفْتَحُ لَه بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: هذَا مَقْعَدُكَ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُروراً. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بُدِيءَ مِنْهُ فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسِيمِ الطَّيِّب، وَهِيَ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، فَذلِكَ قَوْلُهُ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: ٢٧][(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣١١٣)، والزهد لهناد بن السري (٣٣٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١٤٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٢٠)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان(٣١٠٣).

قال ابن القيم: "وقد دل على ذلك أن تلك الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس من أسباب النجاة من عذاب القبر وكربه وفتنه"(١).

وقال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احْتَوَشَته(٢) أعماله، ثم أنطقها الله، فقالت: أيها العبدُ المنفردُ في حفرته، انقطع عنك الأخلاء والأهلون، فلا أنيس لك اليوم غيرنا، ثم بكى يزيد وقال: طوبى لمن كان أنيسه صالحًا، والويل لمن كان أنيسه وبالاً(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ"(٤). **والشَّعَف**: شدَّة الفَزَع حتى يذهَب بالقلب(٥).

٦- يورث حفظ الأهل والذرية والأموال:

ولقد ذكر الله جل جلاله في سورة الكهف حديث موسى والخضر وفيه قصة إقامة الجدار للغلامين قال الله على لسان الخضر لموسى عليهما السلام: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الكهف: ٨٢]

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في قوله{ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} قال: "حُفظا بصلاح أبيهما، وما ذُكر منهما صلاح"(٦).

---

(١) أسباب عذاب القبر وكيفية النجاة منه لابن القيم(ص: ٨).

(٢) أي جعلته وسطهم، يقال احْتَوَشَ القومُ عَلَى فلان: جعلوه وسطهم لسان العرب لابن منظور(٦/ ٢٩٠).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٤٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجة(٤٢٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٩٦٨).

(٥) النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/ ١١٧٢).

(٦) تفسير الطبري(١٨/ ٩١).

و عن وهب قال: "إن الله يصلح بالعبد الصالح القبيل من الناس"(١).

وقال محمد بن المنكدر: "إن الله تعالى يحفظ عبده المؤمن في ولده وولد ولده وفي ذريته وفي الدويرات حوله"(٢).

٧-سبب لتفريج الهموم وكشف الغموم والكُربات وقضاء للحاجات:

فلقد ذكر الله جل جلاله في سورة الأنبياء جملة من أخبارهم وما حل بهم من الهموم والإيذاء والغموم، وما نزل بهم من الشدائد والمصائب، فذكر إبراهيم وموسى ولوطا ونوحا، وداود وسليمان وأيوب وذا النون، وزكريا ويحي عليهم الصلاة والسلام، ثم ذكر سبحانه فضله ومنه وكرمه على أنبيائه، وقال بعدها: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠]

والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافِهم بهذه الخصال الحميدة(٣).

فجدير بمن كانت له حاجة يطلبها من الله أن يتخلق بأخلاقهم وليقتد بآثارهم فإنهم كانوا على هدى مستقيم.

وقدموا لأنفسكم بالعمل الصالح كما قال تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: ٢٠]

وفي قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فأُطبق عليهم، كان للعمل الصالح أثرًا عظيمًا في نجاتهم من الهلاك، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ ثَلاَثَةٌ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٩/ ٦١٩).

(٢) النكت والعيون للماوردي(٣/ ٣٣٦).

(٣) تفسير أبي السعود (٤/ ٤٣٤).

شَيْخَانِ كَبِيرَانِ-فذكر من حسن بره بهما- ثم قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ قَالَ فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ -وذكر من عفته عما حرم الله-ثم قال: فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الثالث: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى-فذكر من حسن وفائه -ثم قال: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ[1].

فانظر لقد توسل كل واحد من هؤلاء الثلاثة بعمله الصالح فشاء الله أن يكون سببًا في نجاتهم من الهلاك، ولو أن واحدًا منا كان معهم أو مكانهم فأي عمل كان يرجوه كي يتوسل به إلى الله ويدعو به فيكون سببًا في نجاته؟!

وانظر أيضًا إلى قول كل واحد منهم: "**إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**".

قال ابن حجر: "فلم يعتقد أحد منهم في عمله الإخلاص بل أحال أمره إلى الله فإذا لم يجزموا بالإخلاص فيه مع كونه أحسن أعمالهم فغيره أولى فيستفاد منه أن الذي يصلح في مثل هذا أن يعتقد الشخص تقصيره في نفسه ويسيء الظن بها ويبحث على كل واحد من عمله يظن أنه أخلص فيه فيفوض أمره إلى الله ويعلق الدعاء على علم الله به فحينئذ يكون إذا دعا راجيا للإجابة خائفا من الرد فإن لم يغلب على ظنه إخلاصه ولو في عمل واحد فليقف عند حده ويستحي أن يسأل بعمل ليس بخالص"[2].

---

(١) أخرجه البخاري(٢٢١٥) وهذا لفظه، ومسلم(٧١٢٧).

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥١٠).

ومنه نشير في إيجاز إلى شروط صحة العمل وقبوله وهي شرطان: **الإخلاص والمتابعة.**

ولا تتحقق العبودية لله عز وجل إلا بتحقق هذين الأصلين كما قال ابن القيم: لا يكون العبد متحققا بـ{إياك نعبد} [الفاتحة: ٥] إلا بأصلين عظيمين: **أحدهما:** متابعة الرسول ﷺ، و**الثاني:** الإخلاص للمعبود، فهذا تحقيق {إياك نعبد}. **وقال**: "أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل " {إياك نعبد} [الفاتحة: ٥] " حقيقة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة، والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورًا"[١].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم(١/ ١٠٤).

وقفات تربوية مع شهر شعبان

خصائص شهر شعبان **احذر من الغفلة**

فوائد تعمير أوقات الغفلة بالطاعات **الاستعداد لرمضان**

مقدمة: شهر شعبان من الشهور التي لها منزلة عظيمة ومكانة رفيعة غيرَ أن الكثر من الناس لا يعرفون منزلته فضلا أن يقوموا بحقه، لذلك ينبغي لنا أن نقف مع هذا الشهر بعض الوقفات حتى لا نكون ممن يغفل عن هذا الشهر، ومن هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: خصائص شهر شعبان

كان الناس في الجاهلية يعظمون شهر رجب ويُهملون شهر شعبان، فجعل الله لهذا الشهر مِن الخصائص ما زاده مكانة في نفوس المسلمين، فمن هذه الخصائص:

١- جعله الله بمثابة الختام لأعمال السنة، ففيه ترفع أعمال السنة

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنَ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: «. . . . . هُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». (١)

وقفة تربوية: شهر شعبان هو الموسم الختامي لصحيفتك وحصاد أعمالك عن هذا العام، فبم سيُختم عامك؟ ثم ما الحال الذي تحب أن يراك الله عليه وقت رفع الأعمال؟

إنها لحظة حاسمة في تاريخ المرء، حين تصعد الملائكة بحصاد عامه كله، لتعرض هذه الأعمال على الله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]

(١) رواه النسائي (٢٦٧٨) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٤/ ١٠٣)

فهل تحب أن يرفع عملك وأنت في طاعة لله وثبات على دينه وفي إخلاص وعمل واجتهاد وتضحية، أم تقبل أن يرفع عملك وأنت في سكون وضعف همة وقلة بذل وإعراض عن الله؟. . . . . راجع نفسك – يا عبد الله – وبادر بالأعمال الصالحة قبل رفعها إلى الله في شهر رفع الأعمال، واعلم أن « اللهَ تعالى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ». (١)

٢- خصَّه النبيُّ ﷺ بمزيد صيام واجتهاد

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: كَانَ أَحَبَّ الشُّهُورِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَصُومَهُ شَعْبَانُ، بَلْ كَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ. (٢)

وقفة تربوية: هل تُحب ما أحبَّ رسول الله ﷺ، وهل تجد في نفسك الشوق لهذا الشهر كما وجَدَه النبي ﷺ؟ إنه الاختبار العملي والمعيار الحقيقي لمحبة النبي ﷺ حين ترى نفسك تحب ما يحب الله ورسوله وتشتاق إلى ما يشتاق إليه وتحذو حذوه وتسير على دربه.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لاَ يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ. (٣) وفي لفظ: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلاً. (٤)

قال ابن المُبَارَكِ: جَائِزٌ فِي كَلاَمِ الْعَرَبِ إِذَا صَامَ أَكْثَرَ الشَّهْرِ أَنْ يَقُولَ صَامَ الشَّهْرَ كُلَّهُ. (٥)

قال ابن حجر: فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ. (١)

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه أبو داود (٢٤٣١) والنسائي (٢٦٧١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٤٨)

(٣) رواه البخاري (١٩٦٩) ومسلم (١١٥٦)

(٤) رواه البخاري (١٩٧٠) ومسلم (١١٥٦)

(٥) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢١٤)

قال ابن رجب: وإنما صيام النبي ﷺ من أشهر السنة فكان يصوم من شعبان ما لا يصوم من غيره من الشهور. (٢)

قال الصنعاني: في الحديث دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَخُصُّ شَعْبَانَ بِالصَّوْمِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ. (٣)

قال ابن رجب: أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان قبله وبعده، وذلك يلتحق بصيام رمضان لقربه منه وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها فيلتحق بالفرائض في الفضل وهي تكملة لنقص الفرائض. (٤)

وقفة تربوية: كم يوماً تنوي صيامه من هذا الشهر اقتداءً بالنبي ﷺ؟

٣- خصه اللهُ بليلةٍ كريمة يطَّلعُ الله فيها على عباده فيغفر لكل موحِّد غير حاقد ولا مشاحن

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ ». (٥)

وعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَطْلُعُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ ». (٦)

وقفة تربوية: ليلة النصف من شعبان فرصة عظيمة

- لكل مخطئ ومقصر في حق الله لأن يعود ويُنيب {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ} [الزمر: ٥٤]

- وهي فرصة لمحو الأحقاد من القلوب تجاه إخواننا، فلا مكان هنا لمشاحن وحاقد

---

(١) فتح الباري(٤/ ٢١٥)

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٨)

(٣) سبل السلام (١/ ٥٨٣)

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٩)

(٥) رواه ابن ماجه (١٣٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٧٣)

(٦) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١١) والطبراني (٥٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٥) و رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٠٩) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، ورواه ابن حبان (٥٦٦٥) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.

وحسود، وليكن شعارنا جميعا قوله تعالى: { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠]

قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس، والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ مَن بلغ لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة. (١)

- وهي فرصة لكل من وقع في معصية أو ذنب مهما كان حجمه، أن يحسن الظنَّ بربه العظيم، الذي لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره مهما كان هذا الذنب، لذلك نادى على عباده قائلا {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]

وفتَحَ لهم أبواب رحمته ورجاءه فقال: « **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** ». (٢)

الوقفة الثانية: احذر أن تكون من الغافلين

عن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنَ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: « **ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ** ». (٣)

وكأن النبيَّ ﷺ يُبَيِّنُ للمؤمنين أنهم لا ينبغي أن يغفلوا حين يَغفُلُ النَّاس عن الله تعالى، بل لابد أن يكونوا متيقظين لربهم سبحانه وتعالى، غير غافلين عنه جلَّ وعلا،

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٠)

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه

(٣) رواه النسائي (٢٦٧٨) وحسنه الألباني في إرواء الغليل(٤/ ١٠٣)

مقبلين عليه حال إعراض النَّاس، ذاكرين له حال غفلة النَّاس، مهتدين بهدايته حال ضلال النَّاس. لهم شأن، والنَّاس لهم شأن آخر.

شأنهم وحالهم: القُرب من الله تعالى، والوقوف ببابه، والتضرع له. والدعاء، والذكر، والبكاء، والتذلل، والانكسار إلى ربهم في كل حين، لا يخرجون عن ذلك طرفة عين. فأشواقهم لمحبته. . . ونعيمهم ولذتهم وشهواتهم في طاعته. (١)

ما سبب غفلة الناس عن شعبان؟

قال ابن رجب: لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام (رجب) وشهر الصيام (رمضان) اشتغل الناس بهما، فصار مغفولاً عنه. (٢)

أيها الغافل:

– انتَبِه لرَحِيلكَ ومَسْراك، واحذرْ من موافقةِ هواك، انتقل إلى الصلاح قبل أن تُنقل، وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل، ولا تغفل عن التدارك. . . اللهَ اللهَ لا تفعل. (٣)

أيها الغافل: **انتبه قبل أن يدخل رمضان وأنتَ في غفلتك فتُحرم الخيرات والنفحات**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَلاَ يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ ». (٤)

أيها الغافل: انتبه حتى لا تحرم من المغفرة

---

(١) حال المؤمنين في شعبان / لمحمد الدبيسي (ص: ٣٤)

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٠)

(٣) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٤٨)

(٤) رواه ابن ماجه (١٦٤٤) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦١٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرة رضي الله عنه قَالَ صَعِدَ النَّبِيّ ﷺ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: « آمِينَ آمِينَ آمِينَ » فَلَمَّا نَزَلَ سُئِلَ عَن ذَلِكَ فَقَالَ: « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ قُلْ: آمِينَ. قُلْتُ: آمِينَ ». (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ». (٢)

أيها الغافل: انتبه حتى لا تكون من المُبعَدين المطرودين

عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ حِينَ ارْتَقَى دَرَجَةً: « آمِينَ »، ثُمَّ ارْتَقَى الْأُخْرَى فَقَالَ: « آمِينَ »، ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: « آمِينَ »، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ وَفَرَغَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلاَمًا الْيَوْمَ مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ ، قَالَ: « وَسَمِعْتُمُوهُ؟ »، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: « إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ عَرَضَ لِي حِينَ ارْتَقَيْتُ دَرَجَةً فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ ». (٣)

الوقفة الثالثة: فوائد تعمير أوقات الغفلة بالطاعة؟

في تعمير أوقا ت الغفلة كثير من الفوائد والثمرات منها:

١- دليل على علو الهمة وصدق العزيمة

قال ابن الجوزي: اعلم أن الأوقات التي يغفل الناس عنها مُعَظَّمةُ القدر لاشتغال الناس بالعادات والشهوات، فإذا ثابر عليها طالبُ الفضل دل على حرصه على الخير. ولهذا فُضِّل شهودُ الفجر في جماعة لغفلة كثير من الناس عن ذلك الوقت.

---

(١) رواه البزار (٤٢٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٧٦)

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥) والبزار (٨٤٦٥) وابن حبان (٩٠٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٢)

(٣) رواه الطبراني (٣١٥) والحاكم (٤/ ١٧٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ١٣٤) وصححه الذهبي وقال الألباني: صحيح لغيره، راجع صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٨٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: « سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: « الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ ». (١)

ومعنى الْمُفَرِّدُونَ: أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله أي سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى. (٢)

٢- موافقة الله فيما يحب

فالله سبحانه وتعالى يحب أن يُطاع في كل وقت وحين، وخاصة وقتَ غفلة الناس وانشغالهم عن طاعته، وكلما ازدادت الغفلة في وقتٍ، كلما ازدادت محبةُ الله لأن يُطاع في ذلك الوقت. **قال ابن رجب تعليقا على حديث أسامة بن زيد:**

فيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة و**أن ذلك محبوبٌ لله** عز وجل كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة ويقولون: هي ساعة غفلة ولذلك فضل القيام في وسط الليل لأنه يشتمل على الغفلة لأكثر الناس فيه عن الذكر، **فعن عَمْرُو بْنِ عَبَسَةَ،** أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ ». (٣)

ولهذا المعنى كان النبي ﷺ يريد أن يؤخر العشاء إلى نصف الليل، وإنما علل ترك ذلك لخشية المشقة على الناس، ولما خرج على أصحابه وهم ينتظرونه لصلاة العشاء قال لهم: « مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ غَيْرَكُمْ ». (٤)

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦)

(٢) فيض القدير (٤/ ٩٢)

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨٧)

(٤) رواه البخاري (٥٦٦) ومسلم (٦٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها

وفي هذا إشارة إلى فضيلة التفرد بذكر الله في وقت من الأوقات لا يوجد فيه ذاكر له، ولهذا ورد في فضل الذكر في الأسواق، وسبب ذلك أنه ذكر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة. (١)

٣- الفوز بمحبة الله سبحانه وتعالى

إن أولى الناس بمحبة الله تعالى الذين لا يشغلهم عن عبادته شاغلٌ ولا يصرفهم عن طاعته صارف، هم في شأن والناس في شأن، **عن أَبِي ذَرٍّ الغفاري** رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، قَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَيَتَنَحَّى أَحَدُهُمْ فَيُصَلِّي يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي حَتَّى يُوقِظَهُمْ لِرَحِيلِهِمْ. . . ». (٢)

فهذا الرجل لما انفرد عن رفقته بالقيام بين يدي الله مع حاجته للراحة أحبَّه الله، **فكذلك كلُّ مَن يذكر الله في غفلة الناس** أو يصوم في أيام غفلة الناس عن الصيام. (٣)

وهذه الصورة من أجلى صور المحبة لله أن تراه يقبل على ربه والناس منشغلون، وعن طاعته لاهون، فبينما الناس في دنياهم، في غُدُوهم ورواحهم، هو يقبل على الطاعة، لأن ربه أغلى عنده من كل شيء، لذلك كان الجزاء من جنس العمل.

٤- مضاعفة الأجور

غفلة النَّاس تجعل الطاعات شاقة على النفس؛ بخلاف ما إذا ما كثُر الطائعون لله تعالى فإنَّ النَّاس كُلَّهم يألفون الطاعة فلا يجدون لها مشقة، أما إذا كانت أوقات الغفلة، وتفرَّد المرء بالطاعة كانت شاقة على نفسه وصعبة عليه؛ لأنه لا يجد مَن يتأسى به؛

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣١)

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٥٣) والحاكم (٢/ ١٢٣) وصححه الذهبي، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند (٣٥/ ٢٨٥)

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣١) بتصرف

لأجل ذلك كان العمل عند غفلة الناس وانصرافهم عن الطاعة له أجر كبير، **عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ »، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: « بَلْ مِنْكُمْ ». ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَوَمِنْهُمْ؟ قَالَ: « لَا، بَلْ مِنْكُمْ ». ثَلَاثُ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعًا. (١)

قال الشيخ كمال الدِّين الزملكاني: يُضاعف ثواب العامل منهم (أي المتأخرين) على عمله لقلة من يعمل ذلك العمل، ولا يلزم من ذلك أفضليته على من تقدَّم (أي الصحابة)، بل يكُون ذلك العمل الخاص الذي عمله هذا المتأخر مضاعف الثواب لقلة الأعوان عليه، كما قال ﷺ « إنَّكم تجدون على الخير أعوانًا ».

وقال الشيخ عز الدِّين ابن عبد السلام: هذا الحديث مبنيٌّ على قاعدتين: **إحداهما**: أنَّ الأعمال تشرف بثمراتها.

الثانية: أنَّ الغريب في أول الإسلام هو كالغريب في آخره، وبالعكس لقوله ﷺ « بدأ الإسلام غريب وسيعُود كما بدأ، فطوبى للغرباء من أمتي». أي المتفردين بالتقوى دُون أهل زمانهم. (٢)

الوقفة الرابعة: شعبان والاستعداد لرمضان

القاعدة: مَن أحسن الاستعداد، وتعاهد بالسُّقيا وبالخدمةِ جاد، سرَّه ذلك يوم الحصاد

لن تحصد في رمضان إلا ما غرسته في رجب وتعاهدتَ سقياه في شعبان، ولا تسل عن حال الغافلين.

فمَن زرعَ الحبوبَ وما سقاها. . . تأوَّهَ نادما يومَ الحصاد

---

(١) رواه المروزي في السنة (٣٢) والطبراني (٢٨٩) وصححه الألباني، وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. راجع السلسلة الصحيحة (١/ ٨٩٢)

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي للسيوطي (٢/ ٧٦٢)

يا مَن طالت غيبته عنَّا قد قرُبت أيام المصالحة؛ يا مَن دامتْ خسارته قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، مَن لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح، مَن لم يقرب فيه من مولاه فهو على بُعْده لا يربح. (١)

شعبان تمهيدٌ وتدريب لنتهيأ لرمضان

القاعدة: العرقُ في التدريب يقلل من الخسائر إذا بدأت المعركة

قال ابن رجب: لما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شُرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن، ليحصل التأهب لتلقي رمضان وترتاضُ النفوس بذلك على طاعة الرحمن

قال سلمة بن كهيل: كان يقال شهر شعبان شهر القُرَّاء

وكان حبيب بن أبي ثابت: إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء

وكان عمرو بن قيس الملائي: إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرَّغ لقراءة القرآن

وكان عمار بن ياسر: يتهيأ لصوم شعبان كما يتهيأ لصوم رمضان.

يا من فرَّط في الأوقات الشريفة وضيعها، وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها.

مضى رجبٌ وما أحسنتَ فيه. . . وهذا شهرُ شعبانُ المباركْ

فيَا مَن ضيَّع الأوقاتَ جَهْلا. . . بحُرْمَتِها أَفِقْ واحذرْ بَوارَكْ

فسوفَ تُفارقُ اللذاتِ قَسرا. . . ويُخلِي الموتُ كرها مِنْكَ دارك

تدارك ما استطعتَ مِن الخطايا. . . بتوبةِ مُخلِصٍ واجعلْ مَدَارك

على طلبِ السلامةِ مِن جحيمٍ. . . فخيرُ ذَوي الجرائمِ مَن تَدارك(١)

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٨)

تحويل القبلة.... و دروس للأمة

وقعت في سيرة الرسول ﷺ حوادث فارقة في توجيه مسيرة الأمة المسلمة، وحادثة تحويل القبلة من الحوادث الفارقة في تميُّز الصفِّ المسلم، وهتْكِ سرائر الحاقدين والمرجفين، وهكذا يظلُّ تحويل القبلة حدثًا فارقًا في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة، ومسيرةِ بناء الدولة المسلِمة.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **إِنَّ الْيَهُود قَوْمٌ حُسَّدٌ وَإِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ، وَعَلَى السَّلَامِ** ». (٢)

متى وقع تحويل القبلة؟

عندما قدم النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كان يستقبل بيت المقدس، وبقي على ذلك ستة – أو سبعة – عشر شهراً، كما ثبت في الصحيحين من حديث البَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ. . . الحديث. (٣)

ثم بعد ذلك أمره الله تعالى باستقبال الكعبة (البيت الحرام) وذلك في قوله تعالى: { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٤٤]

فأمر الله تعالى نبيَّه في هذه الآية باستقبال الكعبة، ومن ذلك الوقت صارت الكعبة

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٤٧) ولطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٥)

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٣٤) وابن خزيمة (٥٧٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٤١)

(٣) رواه البخاري (٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥)

قبلته ﷺ، وقبلة أمته مِن بعده. (١)

الحكمة من تحويل القبلة

إنَّ لله تعالى في جعل القبلة إلى بيت المقدس، ثم تحويلها إلى الكعبة، حِكَما عظيمة، منها:

أ- محنة وابتلاء ليتميز الصف

الفارق بين مَن يعبد الله ومَن يعبد هواه، سرعة الاستجابة والامتثال لأوامر الشرع ولو تعارضتْ مع أهواء النفس، وتصادمت مع آراء الناس، **قال ابن القيم**: كان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكمٌ عظيمة، ومحنة للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين.

فأما المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا وقالوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: ٧] وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرةً عليهم.

وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا، يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق.

وأما اليهود فقالوا: خالف قبلةَ الأنبياء قبله، ولو كان نبيا لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقا فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس،

---

(١) وكان ذلك على الصحيح المعتمد، في منتصف رجب سنة اثنتين للهجرة، وقد حدّد سعيد بن المسيب تاريخ تحويل القبلة إلى الكعبة بشهرين قبل بدر، فيكون في ١٧ رجب سنة اثنتين إذا توخينا الدقة أو منتصف رجب كما هو قول الجمهور إذا لم نعتبر اليومين. وقد أرَّخَ ابن إسحاق تحويل القبلة في رجب بعد سبعة عشر شهرًا من قدومه؛ وورد عنه أيضًا رواية شاذة أن التحويل في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة. وأما الواقدي فأرَّخ ذلك للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرًا. السيرة النبوية الصحيحة لـ/ د أكرم العمري (٢/ ٣٥٠)

وكانت كما قال الله تعالى: {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة: **١٤٣**] وكانت محنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول منهم ممن ينقلب على عقبيه. (١)

– **فعندما تُبتلى النفوس** يتبين مَنْ يعبد الله ممنْ يعبد هواه، **عن سعيد بن جبير** قال: لقيني راهبٌ فقال: يا سعيد، في الفتنة يتبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت. (٢)

– **وعندما تُبتلى النفوس** يظهر مَن يعبد الله على حرفٍ ممن رسخت أقدامه في الإيمان، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: **١١**]

– **وعندما تُبتلى النفوس** يتبين مَن يعبد الله رجاءَ ما عند الله، ممن لا يريد إلا الدنيا، **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ؟. (٣)

ب– لتحويل القبلة أبعادٌ كثيرة

إن لتحويل القبلة أبعادًا كثيرة، منها: السياسي، والعسكري، والديني البحت، والتاريخي.

فبُعْدها السياسي: أنها جعلت الجزيرة العربية محور الأحداث

وبُعدها التاريخي: أنها ربطت هذا العالم بالإرث العربي لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وبُعدها العسكري: أنها مهدت لفتح مكة وإنهاء دولة الشرك فيها

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٠)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٢٨٠)

(٣) رواه البخاري (٤٧٤٢)

وبعدها الديني: أنّها ربطت القلوب بالحنيفية، وميزت الأمة الإسلامية عن غيرها. . ومن ثَمَّ كان تحويل القبلة نعمةً من نعم الله علينا، كما قال الله تعالى: { وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة: **١٥٠**]. (١)

ج- كما أن تحويل القبلة فيه إشارة إلى انتقال القيادة والإمامة في الدين من بني إسرائيل الذين كانت الشام وبيت المقدس موطنهم إلى العرب الذين كانت الحجاز مستقرهم، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: **١٤٣**]

دروس ووقفات مع هذا الحديث العظيم

لقد كانت حادثة تحويل القبلة، حادثة عظيمة، فيها من الدروس والعبر الكثير، والتي ينبغي الوقوف معها والاستفادة منها، ومن ذلك:

الوقفة الأولى: مع نبي الإسلام

- بيان عظيم مكانة النبي ﷺ عند الله

استجاب الله دعاء نبيه ﷺ وحقق الله رجاءه، وما ذلك إلا لعظيم مكانته عند ربه، قال الله تعالى: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} [البقرة: **١٤٤**]

قال ابن القيم: فهو ﷺ الذي شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمَه باسمه فإذا ذُكِرَ ذُكِرَ معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، وافترض على العباد طاعته ومحبته والقيام بحقوقه، وسدَّ الطرق كلها إليه وإلى جنته فلم يفتح لأحد إلا من طريقه؛

(١) الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية (١/ ٤٤٠)

فهو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، والفرقان المبين الذي باتباعه يميز أهل الهدى من أهل الضلال. (١)

- على قدر الهمة في الدين يكون المدد من رب العالمين

ظَلَّ النبيُّ ﷺ يقلِّبُ وجهه في السماء سائلا ربه مستعطفا راجيا، إلى أن حقق الله مطلوبه وأعطاه منهاه، وهكذا تُنال المطالب وتُقضى الحاجات، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، . . . فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ». (٢)

قال ابن القيم: المعونةُ من الله تنزل على الْعباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عَلَيْهِم على حسب ذَلِك، فَالله سُبْحَانَهُ أحكم الْحَاكِمين وَأعلم الْعَالمين يضع التَّوْفِيق فِي موَاضعه اللائقة بِهِ والخذلان فِي موَاضعه اللائقة بِهِ هُوَ الْعَلِيم الْحَكِيم. (٣)

- إثبات نبوة النبي ﷺ

فقد أخبر الله تبارك وتعالى بما سيقوله اليهود عند تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، قبل وقوع الأمر بالتحويل، ولهذا دلالته، فهو يدل على صدق نبوة رسول الله ﷺ إذ هو أمر غيبي، فأخبر عنه ﷺ بآيات قرآنية قبل وقوعه ثم وقع، وفي ذلك يقول الله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢]

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤)

(٢) رواه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧)

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٩٧)

الوقفة الثانية: مع الصحابة

- نتعلم من الصحابة كمال التسليم والانقياد لأوامر الله

فالمسلم عبدٌ لله تعالى، يسلِّم لأحكامه وينقاد لأوامره بكل حب ورضا، ويستجيب لذلك، ويسارع للامتثال بكل ما أوتي من قوة وجهد، فأصل الإسلام التسليم، وخلاصة الإيمان الانقياد، وأساس المحبة الطاعة، لذا كان عنوان صدق المسلم وقوة إيمانه هو فعل ما أمر الله والاستجابة لحكمه، والامتثال لأمره في جميع الأحوال، لا يوقفه عن الامتثال والطاعة معرفة الحكمة واقتناعه بها، لأنه يعلم علم اليقين، أنه ما أمره الله تعالى بأمر ولا نهاه عن شيء، إلا كان في مصلحته سواء علم ذلك أو لم يعلمه، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٣٦]

هذه الطاعة، وذلك التسليم، الذي أقسم الله تعالى بنفسه على نفي الإيمان عمن لا يملكه في قوله تعالى: { فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]

والصحابة رضي الله عنهم ضربوا أروع الأمثال في سرعة امتثالهم لأوامر الشرع، فلما أُمِروا بالتوجه إلى المسجد الحرام سارعوا وامتثلوا، بل إن بعضهم لما علم بتحويل القبلة وهم في صلاتهم تحولوا وتوجهوا إلى القبلة الجديدة في نفس الصلاة، **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ. (١)

(١) رواه البخاري (٧٢٥١)

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلاَّهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ. (١)

- مِن مواقف الانقياد والتسليم عند الصحابة -رضي الله عنهم-:

- إراقة الخمور بمجرد التحريم(٢)

- سرعة استجابة النساء في ارتداء الحجاب(٣)

---

(١) رواه البخاري (٤٠)

(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ، وَأَبَا طَلْحَةَ، وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ - رضي الله عنهم الخَمْرَ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا فَنَادَى " فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ، اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي: " أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَمَا قَالُوا مَتَى؟ ، أَوْ حَتَّى نَنْظُرَ، بل قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ، اذْهَبْ إِلَى هَذِهِ الْجِرَارِ فَاكْسِرْهَا، ثُمَّ قَالُوا عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ حَتَّى أَبْرَدُوا وَاغْتَسَلُوا، ثُمَّ طَيَّبَتْهُمْ أُمُّ سُلَيْمٍ ثُمَّ رَاحُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا الْخَبَرُ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا طَعِمُوهَا بَعْدُ، وَكَفَأَ النَّاسُ آنِيَتَهُمْ بِمَا فِيهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ. رواه أحمد (٣/ ١٨١) و البخاري (٢٤٦٤) ومسلم (١٩٨٠)

(٣) عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَذَكَرَتْ نِسَاءَ قُرَيْشٍ وَفَضْلَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصْدِيقًا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَلا إِيمَانًا بِالتَّنْزِيلِ لَقَدْ أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ انْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أُنْزِلَ إليهن فيها، ويتلوا الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ، مَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلا قَامَتْ إِلَى مِرْطِهَا الْمُرَحَّلِ فَاعْتَجَرَتْ بِهِ تَصْدِيقًا وَإِيمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِهِ، فَأَصْبَحْنَ يُصَلِّينَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصبح معتجرات كأن على رؤسهن الغربان. رواه أبو داود (٤١٠٢) مختصرا، وابن أبي حاتم في التفسير(٨/ ٢٥٧٥) وقواه الألباني في جلباب المرأة المسلمة (ص: ٧٩)

- **والأعجب من ذلك: خلع النعال أثناء الصلاة** متابعةً للنبي ﷺ الذي خلعه لنجاسة فيه!. (١) والنماذج في هذا المعنى كثيرة من واقع الصحابة، ولكنها إشارة للعاقل.

- **والسؤال**: أين هذا مِن حال مَن يجادلون في آيات الله بغير علم؟! وممن يطعنون في أصول الدين لأنها لا تتوافق مع أهوائهم المنحرفة وعقولهم الخرِبة؟

- نتعلم من الصحابة: درسًا في معنى الأخوة

أظهر تحويل القبلة حرص المؤمن على أخيه وحب الخير له، فحينما نزلت الآيات التي تأمر المؤمنين بتحويل القبلة إلى الكعبة، تساءل المؤمنون عن مصير عبادة إخوانهم الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس، فأخبر الله عز وجل أن صلاتهم مقبولة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَكَيْفَ الَّذِينَ مَاتُوا، وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } [البقرة: **١٤٣**]. (٢)

- **وهكذا الأخوة الصادقة لا تنقطع بالموت**، بل لا تنقطع في أحلك الظروف في عرصات القيامة، فعن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر شفاعة بعض المؤمنين لإخوانهم، فقال: « فيقولون: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا،

---

(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَتَهُ، قَالَ: « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَاءِ نِعَالِكُمْ »، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا أَذًى. . . ». رواه أبو داود (٦٥٠) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٣٩)

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٠) والترمذي (٢٩٦٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٦/ ٤٦٤)

وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ». (١)

لذلك قال الحسن البصري: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة. (٢)

- الأخوة الصادقة تعني: أن نفرح لفرح إخواننا ونحزن لحزنهم؛ دخل عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. (٣)

الوقفة الثالثة: مكانة الأمة الإسلامية وفضلها

- إنها الأمة الوسط: قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]

يقول ابن كثير: إنما حوَّلناكم إلى قبلةِ إبراهيم، عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. (٤)

فهذه الأمة هي الأمة الوسط في التصور والاعتقاد، وفي التفكير والشعور في التنظيم والتنسيق، في الارتباطات والعلاقات، وحتى في المكان في سُرَّةِ الأرض وأوسط بقاعها.

- إنها أعظم الأمم وأسبقها فضلاً

قال الله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠]

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)

(٢) تفسير البغوي (٦/ ١٢٠)

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣)

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٤)

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ « أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ». (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ». (٢)

- لذلك لا ينبغي الإعجاب بالأمم الكافرة والاقتداء بهم في ضلالهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: « فَمَنْ ». (٣)

- الوقفة الرابعة: قبلتنا تذكرنا دائما بـ

- توحدنا وتوحيدنا

من كل اتجاه، في أنحاء الأرض جميعًا، قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحِّد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها، قبلة واحدة، تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها، فتشعر أنها جسم واحد، وكيان واحد، تتجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد، منهج ينبثق من كونها جميعًا تعبد إلهًا واحدًا، وتؤمن برسول واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة.

فالمسلمون يتعلمون من وحدة القبلة، وحدة الأمة في الهدف والغاية، وأن الوحدة والاتحاد ضرورة في كل شئون حياتهم الدينية والدنيوية، قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣) والترمذي (٣٠٠١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٥٦)

(٢) رواه مسلم (٨٥٥)

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩)

- قبلتنا تذكرنا: بضرورة تميز المسلمين عن غيرهم

- لم يكن بُدّ من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم في الصلاة والعبادة وتخصيصه؛ كي يتميز المسلم وينفرد بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد؛ كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد.

- ومن هنا كذلك كان النهي عن التشبه بغير المسلمين في خصائصهم، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة، **عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ، وَلَا خِفَافِهِمْ ». (١)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ ». (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ ». (٣)

ولقد أدرك اليهود مدى حِرْص الرسول ﷺ على هُوية الأمة وتميزها، والإمعان في مخالفتهم حتى قال قائلهم: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ. (٤)

- قبلتنا تذكرنا بتخليص القلوب من نعرات الجاهلية

- كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعرةٍ، وكل عصبيةٍ لغير منهج الله تعالى، فقد انتزعهم من الاتجاه إلى البيت الحرام، وشاء لهم الاتجاه

---

(١) رواه أبو داود (٦٥٢) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٣٨)

(٢) رواه البخاري (٥٨٩٢) ومسلم (٢٥٩)

(٣) رواه مسلم (٢٦٠)

(٤) رواه مسلم (٣٠٢)

إلى المسجد الأقصى لفترةٍ ليست بالقصيرة، وما ذاك إلا ليخلِّص نفوسهم من رواسب الجاهلية.

ثم لمَّا خلصت النفوس وجَّهها الله تعالى إلى قبلةٍ خاصةٍ تخالف قبلة أهل الديانات السماوية الأخرى.

وقد وصف الله تعالى هذه القدرة على تخليص النفوس بأنها "كبيرة": { وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} [البقرة: ١٤٣]

- قبلتنا تذكرنا بحقيقة الصراع بيننا وبين أهل الكتاب

قال تعالى في معرض حديث الآيات عن القبلة { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ } [البقرة: ١٤٥]

من دروس حادثة تحويل القبلة المهمة، أنها وضَّحتْ للمسلمين طبيعة الكفار- من يهود ونصارى وغيرهم- وأنهم لن يرضوا أبدا عن المسلمين إلا أن يتبعوهم ويكونوا مثلهم، قال الله تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]

وهنا ندرك أصالة عدوان هؤلاء للإسلام والمسلمين، فقد شنوا حربًا إعلامية ضارية في أعقاب حدث تحويل القبلة، ولقد فُتن ضعاف الإيمان كما فُتن إخوانهم في حادث الإسراء والمعراج، وإن المتأمل لآيات تحويل القبلة - وهي تردُّ شبهات اليهود - يتبين له مدى ضراوة الحرب الإعلامية والفكرية التي شنَّها اليهود، وما زالوا إلى اليوم يسيطرون على القنوات والأبواق الإعلامية المسموعة والمرئية، وكلُّ همهم هو تشويه صورة المسلمين وتشتيت شملهم، وحالهم كما قال الله تعالى { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا } [المائدة: ٦٤]

وأخيرًا قبلتنا تذكرنا: أن مَن عاش على القبلة مات عليها

عن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي، قال: اشتدَّ وجعُ سعيد بن المسيب، فدخل عليه نافع بن جبير يعوده، فأُغمي عليه، فقال نافع: وجهوه إلى القبلة. ففعلوا، فأفاق، فقال: مَن أمركم أن تُحوِّلوا فراشي إلى القبلة، أنافعٌ؟ قال: نعم. قال له سعيد: لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعني توجيهُكم فراشي. (١)

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٥)

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

هذا حديث عن شابٍ عَطَّرتْ سِيرتُه الكُتبَ، ومَلأتْ أخبارُه مجالسَ العِلْمِ والذِّكرِ، هو شابٌ استثمرَ شبابَه فيما يَنفعُه فعادَ نفعُه عليه بالذِّكرِ الطِّيبِ، والرِّفعةِ والمَجْدِ، وعلى أُمَّتِهِ بما تَرَكَ مِن عِلْمٍ غزيرٍ تَنهلُ الأُمةُ منه منذُ قرون ولم يَنفَد.

ذلكم هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، وكنيته أبو العباس

وُلِدَ في شِعْبِ أبي طالب أثناء حصار قريش لبني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولم يهاجر هو وأُمُّه للمدينة إلا بعد فتح مكة وعُمُره عشرُ سنوات، قال: كنتُ أنا وأُمِّي مِن الْمُسْتَضْعَفِينَ، أنا مِن الْوِلْدَانِ وَأُمِّي من النِّسَاءِ. (١)

وفي حجة الوداع كان قريبا من البلوغ، وتُوفي النبيُّ ﷺ وعُمُر ابن عباس ثلاثَ عشْرَة سنة فقط.

كان رضي الله عنه شابا وَسِيمًا جَميلاً، طويلَ القامَةِ، مَهيبًا، كامِلَ العقْلِ، زَكِيَ النَّفْسِ، مِنْ خِيرة الرجال. (٢) دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: « اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ». (٣)

هذا الغلام كان له شأن عظيم في أمة محمد ﷺ وعلامات النبوغ والنجابة بَدَت عليه منذ صِغَرِه، في سرعة بديهته، وحضور ذهنه، مع قوةٍ في المناقشة والمناظرة، يُزينُ ذلك أَدَبٌ جَمٌّ يأسِرُ القلوبَ، ويَستولي على النفوس، وها هو يحكي موقفاً حدثَ له فيقول:

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٧)

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٣٣٣)

(٣) رواه البخاري (١٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ (أي تأخرتُ عنه)، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغَ مِن صلاته قَالَ لِي: « مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟ » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: فَأَعْجَبَتْهُ، فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا. (١)

لك أن تتخيل أن هذا الجواب خرجَ مِن غلام ابن ثلاث عشرة سنة أو أقل، فأي حكمة وأي ذكاءٍ، وأي أدبٍ هذا؟ وفي هذا السنِّ الصغير كان مِن أحرصِ الناسِ على الخير ومِن أسبقهم إليه، فكان يَبيتُ عند خالته ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، ليتشرف بالقيام من الليل مع النبي ﷺ، وليتعلم سننَ النبيِّ ﷺ التي يفعلها ﷺ في بيته ولا يراها إلا مَن معه في البيت.

ومع صغر سِنِّه كان يجالس الكبار ليتعلم منهم وينافسهم في الخير، **فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ** رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: « أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟ »، فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ (يعني وضعه) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ. (٢)

ومن عادة الشباب غفلتهم عن المستقبل، ورؤيتهم للحاضر، ومحبتهم للهو مع أقرانهم، **وشعارهم: عِشْ وقتك، ولا تنظر أمامك.**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٣٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٥٩)

(٢) رواه البخاري (٢٤٥١)

ومَنْ خرج منهم عن هذه العادة فنظر للمستقبل، واشتغل بما ينفعه؛ نبغَ مِن بين أقرانه، واستقامت له أحوالُه، وكان ذا شأنٍ في الناس، وهكذا كان الفتى ابن عباس رضي الله عنهما؛ فإنه نظر لمستقبله، ولم يغترَّ بواقعه، فصان نفسه عن البطالة والعَبَث، وأقبَلَ على الجِدِّ في الطلب، بنفْسٍ لا تعرفُ السأم، وهمةٍ لا يخالطها الملل، قال رضي الله عنه يحكي قصة طريفة له: لَمَّا تُوُفِّيَ رسول اللَّهِ ﷺ قلتُ لِرَجُلٍ من الْأَنْصَارِ: يا فُلَانُ، هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النبي ﷺ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فقال: واعجبا لك يا ابن عَبَّاسٍ! أَتَرَى الناس يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وفي الناس مِن أَصْحَابِ النبي ﷺ مَن تَرَى؟ فَتَرَكَ ذلك وَأَقْبَلْتُ على الْمَسْأَلَةِ، فلَقَد كان يَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عن الرَّجُلِ فَآتِيهِ وهو قَائِلٌ (القيلولة: النوم وقت الظهيرة) فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي على بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ على وَجْهِي التُّرَابَ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فيقول: يا ابن عَمِّ رسولِ اللَّهِ ما جاء بِكَ؟ ألا أَرْسَلْتَ إلي فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: أنا أَحَقُّ أن آتِيَكَ؛ فأسأله عن الحديث. قال: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حتى رَآنِي وقد اجْتَمَعَ الناسُ عَلَيَّ فقال: كان هذا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي. (١)

ومما يدلُّ على همتِهِ العالية وحرصِه على طلب العِلْم، أنه كان يأخذ الحديثَ الواحد أو المسألة مِن مسائل العلم عن عددٍ كثير من الصحابة يقول رضي الله عنه: إِنْ كُنْتُ لأَسْأَلُ عَنِ الأَمرِ الوَاحِدِ ثَلاَثِيْنَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ. (٢)

وقِيلَ له: كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَؤُولٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ. (٣)

وقال: كُنْتُ أَلْزَمُ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. (٤)

---

(١) رواه الدارمي (٥٩٠) بإسناد صحيح

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣/ ١٨٥)

(٣) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٤٨٣)

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨٣)

وهنا فائدة: **المرء بأقرانه والصاحب ساحب**

عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ. . . فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي!

وَصَاحِبْ أُوْلِي التَّقْوَى تَنَلْ مِنْ تُقَاهُمُ. . . . وَلاَ تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ ». (١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ ». (٢)

وأنت تقاس بمَنْ تُصاحب كما قيل:

أنتَ في الناسِ تُقاسُ. . . بمَنْ اخترتَ خَليلاً

فاصْحبِ الأخيارَ تَعلُو. . . وتَنَلْ ذِكْرا جَميلاً

– **كَبِرَ الغلامُ وكبر معه عقلُه**، واتسع علمُه، حتى أدرك في العِلْم مَن سبقوه مِن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وعجبوا مِن علمه، وأقروا له به وهو شاب في العشرين أو دونها، حتى قال له عمر رضي الله عنه: لقد عَلِمْتَ علماً ما عَلِمْناه. (٣)

وقال ابنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه: لَوْ أَدْرَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْنَانَنَا مَا عَشَرهُ مِنَّا أَحَدٌ. (٤) أي ما لحقه في العلم أحد.

– **وكان من سياسة عمر** رضي الله عنه في إدارة الدولة اهتمامه بذوي العلم والرأي دون السن والنسب، فيولي الأكفاء ويقربهم ويدنيهم، فلما رأى كمالَ عقلِ ابنِ عباس، وسدادَ رأيه، وغزارة علمه؛ جعله مِن خاصته، واتخذه بطانةً له، وقدَّمه على الشيوخ الكبار في الرأي

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧)

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٥) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧)

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٦٦١)

(٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٤٨١)

والمشورة وهو شابٌ صغير، حتى اعترض على ذلك بعض كبار الصحابة، **يقول ابْن عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ (يعني غضب وحزن) فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ (يعني علمتم مكانتَه في العلم)، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رأيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ عمر: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ}؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ. (١)

قال يعقوبُ بنُ زَيدٍ: كانَ عُمرُ يَستَشِيرُ ابنَ عباسٍ في الأَمْرِ إِذَا أهمَّه؛ ويقولُ له: غُصْ يا غَوَّاصُ. (٢)

وكان بعض سادات التابعين يلازم ابن عباس وهو غلام دون كبار الصحابة، وما ذاك إلا لعلمه، قُيل لِطَاوُس بن كَيْسان: لَزِمْتَ هَذَا الْغُلاَمَ، يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، وَتَرَكْتَ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا اختَلَفُوا فِي شَيْءٍ صَارُوا إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ. (٣)

وعَنْ مُجَاهِد بن جبْر قَالَ: مَا سَمِعْتُ فُتْيَا أَحْسَنَ مِنْ فُتْيَا ابْنِ عَبَّاسٍ، إِلَّا أَنْ يَقُوْلَ قَائِلٌ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ. (٤)

---

(١) رواه البخاري (٤٢٩٤)

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٨٧)

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨٠)

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٣٥)

وعن شقيق بن سلمة قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَمِيْرٌ عَلَى المَوْسِمِ (في الحج)، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّوْرَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ، وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُوْلُ: مَا رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ كَلاَمَ رَجُلٍ مِثْلَ هَذَا، لَوْ سَمِعَتْهُ فَارِسُ، وَالرُّوْمُ، وَالتُّرْكُ، لأَسْلَمَتْ. (١)

ما سبب هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية؟

ما حازَ ابن عباس رضي الله عنهما هذا العلم الغزير، ولا نال هذه الحظوة الكبيرة عند سادة الأمة من الصحابة والتابعين إلا لأنه حفظ وقته من الضياع، وصان شبابه عن اللهو والغفلة، واستثمر ما أعطاه الله تعالى من قدرات عقلية فيما ينفعه، فعاد نفعه على نفسه بعلم هو أنفس علم وأجله، وهو العلم بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ فأورثه خشية وخشوعا، ورقةً لقلبه وصلاحا حتى؛ **قال أَبِو رَجَاء العطاردي**: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَسفَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الشِّرَاكِ البَالِي مِنَ البُكَاءِ. (٢)

وقال ابْنُ أَبِي مليكة: صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المَدِيْنَةِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ. . . وقَرَأَ: { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } [ق: ١٩] فَجَعَلَ يُرَتِّلُ وَيُكْثِرُ فِي ذَلِكَ البكاء. (٣)

ونفع الله تعالى بعلمه الأمة فهي من عصره إلى يومنا تقتات على علمه، وتستنير بفقهه، فهو قدوة لكل شاب مسلم، ونعم القدوة صحابة رسول الله ﷺ.

فما أحوج شباب الإسلام إلى استحضار سير العظماء من الشباب، و محو سير العابثين من الرياضيين والممثلين والمغنين وأضرابهم من حياتهم؛ فإن من أسباب تأخر المسلمين

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥١)

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢)

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٢)

إهدار طاقات الشباب، وإفسادها بالشهوات، وإبراز القدوات السيئة للشباب عبر الإعلام.

توفيَ ابن عباس رضي الله عنهما، سنة (٦٨هـ) فرضي الله عنه وأرضاه

دروس من سيرة ابن عباس رضي الله عنهما

- صِغَرِ السنِّ لا يمنع من الحرص على تحصيل الخير والمنافسة فيه
- أهمية مرحلة الشباب في تحصيل ما ينفع في الدين والدنيا
- ضرورة مصاحبة الصالحين لما لها من الأثر الكبير في صلاح الإنسان
- عدم الإصغاء لكلام المثبطين والمخذلين
- احترام الكبير وتوقيره
- المنازل العالية والدرجات الرفيعة لا تُنال إلا بالتعب وبذل الجهد

مواسم الخير أقبلت... فاضرب بسهم

إن الله تعالى من واسع رحمته ولطفه بهذه الأمة اختار لها أزمنة محدودة، ومواسم معدودة يتسابقون فيها للطاعات، ويشمرون فيها عن ساعد الجد بالعمل الصالح الموصل إلى مرضاة الله جل جلاله؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فينبغي على الإنسان أن يهيئ نفسه لهذه المواسم، فيغتنمها ولا يغفل عن العمل الصالح فيها حتى ينال رضا الله عز وجل ويكون من الفائزين.

وما من هذه المواسم الفاضلةُ موسمٌ إلا ولِلَّهِ تعالى فيه وظيفةٌ من وظائفِ طاعاتِهِ، يتقرَّبُ بها إليه، ولِلَّهِ فيه لطيفةٌ من لطائفِ نفحاتِهِ، يُصيبُ بها من يعودُ بفضلِهِ ورحمتِهِ عليه، فالسعيدُ من اغتنمَ مواسمَ الشهورِ والأيامِ والسَّاعاتِ، وتقرَّبَ فيها إلى مولاهُ بما فيها من وظائفِ الطَّاعاتِ، فعسى أن تصيبَهُ نفْحةٌ من تلكَ النَّفحاتِ، فيسعدُ بها سعادةً يأمَنُ بعدَها من النَّارِ وما فيه من اللَّفَحَاتِ[1].

قال الله تعالى: {فَمَنْ زُحْزِحَ عِنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [آل عمران: ١٨٥].

وقال الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٦ - ١٠٨]

الناس في المواسم بين مقلٍ ومستكثرٍ

(١) انظر تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٣٢).

وأحوال الناس في مواسم الطاعات مختلفة متنوعة متفاوتة كتنوعهم وتفاوتهم في الأعمار والأرزاق، فمنهم مقل ومستكثر وشقي وسعيد، و "كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"(١).

والناس في مواسم الطاعات على صنفين:

فأما الصنف الأول: صنف علِم الغاية التي من أجلها خُلق، فعلم أنه لم يخلق ليأكل أو يشرب أو يلهو ويلعب أو يتمتع ويلبس، لكنه علم أن الله عز وجل خلقه لعبادته وطاعته كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]

فهؤلاء أقوام امتلأت قلوبهم بمعرفة الله، وغمرت قلوبهم محبة الله وخشيته، ومراقبته وإجلاله، فَسَرَت المحبة في قلوبهم وأبدانهم، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، وقد أنساهم حبه ذكر غيره، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه.

فباتت أجسامهم على الفرش تتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه، وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً، ذليلاً منكسراً من كل جهاته، فيا لها من سجدة، وما أشرفها من سجدة.

وهذا الصنف ذكر الله عز وجل بعض أوصافهم وما أعد الله لهم من حسن الجزاء، فقال سبحانه {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا

(١) أخرجه مسلم(٢٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا} [الواقعة ١٠ - ٢٦]

وأما الصنف الآخر: فصنف غافل لاه ساه، لا يعرف قيمة وقته ولا عمره ولا يعرف حق رازقه وخالقه، فتجده مضيعًا لأوقاته في اللهو واللعب، تمر عليه الأيام والسنين فلا ينتبه ولا يعتبر ولا يشعر بقيمتها ولا بفضائلها، سبقت حظوظ نفسه وشهواته واجباته وحقوق ربه عليه، فخرج من دنياه بلا زاد فيا حسرته على ما فرط في حق نفسه وحق ربه، ويا حسرات من ضيع وقته وعمره فيما لا ينفع، **قال ابن القيم:** "فالوقت منقض بذاته منصرم بنفسه فمن غفل عن نفسه تصرمت أوقاته وعظم فواته واشتدت حسراته فكيف حاله إذا علم عند تحقق الفوت مقدار ما أضاع وطلب الرجعى فحيل بينه وبين الاسترجاع وطلب تناول الفائت وكيف يرد الأمس في اليوم الجديد وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ومنع مما يحبه ويرتضيه وعلم أن ما اقتناه ليس مما ينبغي للعاقل أن يقتنيه وحيل بينه وبين ما يشتهيه"(١).

وإذا ورد العبد على ربه يوم القيامة تبين وتميز ربحه من خسرانه، وما بعد الموت إلا واحدة من اثنتين فإما أن يخلد في نعيم وإما أن يخلد في عذاب.

ولذلك من تمام عدل الله ورحمته بخلقه أن بيَّن لهم أعمالهم، وأوضح لهم طريق الجنة وما يوصِل إليه، وأوضح لهم طريق النار وما يصرِف عنه، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: ٤٢]

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خلقوا ليوم لو رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم(٣/ ٥٠).

ممات ثم نشر ثم حشر وتوبيخ وأهوالٌ عظام

الوسائل المعينة على اغتنام مواسم الطاعات

لا بد للمرء أن يأخذ بالأسباب التي تقربه من ربه تبارك وتعالى حتى يتوصل بها إلى مرضاته سبحانه، وهناك من الوسائل التي تعين على اغتنام مواسم وأوقات الطاعة والخير ومن جملة ذلك:

١-التوبة وكثرة الاستغفار:

وأول الأمور التي لابد أن يستقبل بها المرء مواسم الخير والطاعات أن يتوب وينوب إلى ربه تبارك وتعالى، ويعترف بتقصيره حتى يستقبل أوقات الطاعة بقلب خالٍ من الذنوب نقيٍ، فيكثر من الاستغفار، لأن العبد قد يحال بينه وبين العمل الصالح بسبب ذنوبه، ولقد كان النبي ﷺ يستفتح الصلاة التي هي أحب الأعمال إلى الله بقوله: " اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَالثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ".

ومن أكبر المعوقات التي تحول بين العبد وطاعة ربه الذنوب والخطايا.

فالتوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية. **والثاني**: أن يندم على فعلها. **والثالث**: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي **فشروطها أربعة**: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي. وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة، وإجماع الأمة على وجوب التوبة(١).

قال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١]، وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨]

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: " وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً"(٢).

وعن الأغَرِّ بن يسار المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ "(٣).

فهذا سيد الخلق الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كانوا يعدون عليه في المجلس الواحد يستغفر الله مائة مرة! وغيره كيف يكون حاله؟ فينبغي للعبد أن يكثر من الاستغفار سواءً كان من ذنب معين أو مطلقاً(٤).

٢-صدق النية لله تعالى:

ولا يعلم أحوال القلوب والنيات إلا الله، ومن توجه في طلب شيء إلى ربه بقلب صادق مخلص، وصدق عزيمة رُزق التوفيق والتيسير والإعانة من الله، وأعطاه الله تعالى ما تمناه، ومن صدق الله صدقه الله تعالى.

---

(١) رياض الصالحين للنووي(١/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري(٦٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم(٧٠٣٤).

(٤) انظر شرح الأربعين النووية لعطية سالم(٨٥/ ١٠).

وفي حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ فآمن واتبعه، ثم قسم له النبي ﷺ، فقال له: "مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَالَ ﷺ: إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ"، فما لبثوا إلا قليلاً حتى قاتلوا فقتل وأصيب بسهم حيث أشار فأخبر النبي ﷺ فقال: " أَهُوَ هُوَ"، فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ: صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَّقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ"[1].

هذا حال رجل صادق في نيته لم يؤثر عنه أنه سجد لله سجدة واحدة، ومن صدق الله صدقه الله عز وجل.

٣-استشعار قصر الأجل والعمُر:

لابد للمرء أن يستشعر في نفسه قصر أجله وقصر عمره، وإذا استقبل المرء مواسم الخير وهو قاصر الأمل يقول: لا أدري أعيش غدًا أم لا، فلا شك أن هذا من أعظم الأمور والأسباب المعينة على اغتنام مواسم الطاعات، والأنسان مهما طالت حياته وطال عمره لابد له في النهاية أن يموت، وليس بين المرء وأمر الآخرة إلا قبض روحه، والموت لا يدع صغيرًا لصغره ولا يدع كبيرًا لكبره، {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤]

ولله در القائل:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على حالةِ حدباء محمولُ

ولما علم الصالحون قصر العمر وحث الحادي سارعوا وطووا مراحل الليل مع النهار؛ اغتناماً للأوقات، فأصغ يا أخي! سمعك لنداء ربك، قال تعالى: {فَفِرُّوا إِلَى

(١) أخرجه النسائي في الكبرى(٢٠٩١)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٣٧٥٦).

اللَّهِ} [الذاريات: ٥٠]، وبادر قبل طي صحيفتك، واحسر عن رأسك قناع الغافلين، وشمر للسباق غداً، فإن الدنيا ميدان المتسابقين، واعلم أننا خلقنا لنحيا في دار غرس غراسها الرحمن بيده(١).

٤-دعاء الله بالتوفيق إلي الخير:

لقد النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالخير ويسأل الله عز وجل دائمًا التوفيق والسداد والثبات، وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ"(٢).

وفي هذا الحديث: تنبيه على أن حقَّ العاقل أن يرغب إلى الله أن يعطيه من الخيور ما فيه مصلحته مما لا سبيل بنفسه إلى اكتسابه وأن يبذل جهده مستعينا بالله في اكتساب ما لَه كسبه نافقًا عاجلاً وآجلاً ومطلقًا وفي كل حال وفي كل زمان ومكان(٣).

ومن وقف بباب ربه يسأله أن يفيض عليه من رحماته وفضله، فإنه الكريم سبحانه لا يرد من سأله، فقد تكفل الله جل جلاله أن يعطى كل سائل ما سأل وما طلب، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: " إنّي لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همَّ الدعاء. فإذا أُلهِمتُ الدعاءَ فإنّ الإجابة معه.

وأخذ الشاعر هذا، فنظمه، فقال:

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلُبه ... مِن جودِ كفّك ما عوّدتَني الطلَبا

---

(١) دروس الشيخ سيد حسين العفاني (٩/ ٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه(٣٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(١٢٧٦).

(٣) وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي(٢/ ١٦١).

فمَن أُلهِمَ الدعاءَ فقد أريد به الإجابة، فإنّ الله سبحانه يقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠] وقال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦][١].

٥-الاقتداء بهدي النبي ﷺ في المواسم:

وأولى الناس برحمات الله وهدايته وفضله من تأسى بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فلا سبيل إلى التوفيق والسداد في مواسم الخير والطاعات إلا بالاقتداء بهدي الله وهدي نبيه ﷺ، وهذا هو السبيل الوحيد الفريد، والصراط المستقيم، الذي أمرنا الله جل جلاله به؛ {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النساء: ٦٩، ٧٠]

ومن أراد محبه الله تعالى ورضوانه فليتبع رسول الله ﷺ فيما يكون من هديه ونهجه وطريقته، **وعلى هذا فلا يجوز لأحد أن يقيد نفسه أو غيره بعبادة من العبادات في أي وقت من الأوقات إلا بما شرعه الله عز وجل، أو شرعه نبيه ﷺ**، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[٢].

قال ابن رجب: "فمن تقرَّب إلى الله بعمل، لم يجعله الله ورسولُه قربة إلى الله، فعمله باطلٌ مردودٌ عليه"[٣].

اضرب في كل باب خير بسهم

---

(١) الجواب الكافي لابن القيم(١/ ٢٩).

(٢) أخرجه البخاري(٢٦٩٧)، ومسلم(٤٥٨٩).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب(١/ ١٨٥).

وسهام الخير كثيرة جدًا ومتنوعة ولله الحمد، يكاد يكون كل العام فيه من الأوقات الفاضلة، فعلى جميع المسلمين أن يعظموا هذه المواسم ويقدروها قدرها بفعل الطاعات والقربات واجتناب المعاصي والموبقات، فإن تلك المواسم ما جعلت إلا لتكفير سيئاتكم وزيادة حسناتكم ورفعة درجاتكم، ومن فضل الله على عباده أن أكثر لهم من أبواب الخير والأوقات الفاضلة، فالعاقل من اغتنم هذه الأوقات وضرب فيها بسهم:

١-اضرب بسهم في باب قراءة القرآن:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩، ٣٠]

فقراءة القرآن من أفضل الذكر وأكثرها وأعظمها ثوابًا، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ"(١).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " {قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ} تَعْدِلُ رُبُعَ القُرْآنِ"(٢).

وفي الحديث الآخر عن ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري(٥٠١٣).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٤٤٠٥).

(٣) أخرجه الترمذي(٢٩١٠)، وصححه الألباني في المشكاة(٢١٣٧).

وهذا دليل على عظم قراءة القرآن والله يضاعف لمن يشاء، وكل إنسان وهمتَه في هذا الباب، {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]

٢-اضرب بسهم في باب الذكر:

فلا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر(١).

وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بالإكثار من ذكره فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: ٤١، ٤٢]

قال ابن عباس: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله"(٢).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ"؟ ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى"، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: "مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"(٣).

فمن أذنب فليمح ذنوبه كل يوم بسبحان الله وبحمده، فإنه: " مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ"(٤).

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم(ص: ٤٠).

(٢) تفسير الطبري(١٩/ ١٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي(٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٤٤).

(٤) أخرجه البخاري(٦٤٠٥)، ومسلم(٧٠١٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

ومن أراد أن يثقل موازينه فليحافظ على سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ(١).

٣-اضرب بسهم في باب الصدقة:

ففي الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله، وإذا جمع الله الأولين والآخرين ودنت الشمس من الرؤوس وشغل كل واحد من الناس بنفسه، واشتد الحر وكثر العَرق، فهناك صنف من الناس خصوا بالاستظلال في هذا الموقف العصيب، عَن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ قَالَ: حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ". وقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ: فَكَانَ أَبُو الخَيْرِ اليَزَنِيُّ المِصْرِيُّ لَا يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لَا يَتَصَدَّقُ مِنْهُ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً وَلَوْ بَصَلَةً(٢).

فلا تحرم نفسك من التصدق ولو بالقليل، ومن عجز عن التصدق بماله، لن يضيع منه الفضل والثواب، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى"(٣).

٤-اضرب بسهم في باب قيام الليل:

فالليل موطن تَنَزُّلُ الرحمات، ونزول رب الأرض والسماوات، فعلينا باغتنامه بالطاعات، والإكثار من القربات، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري(٧٥٦٣)، ومسلم(٧٠٢١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه(٢٤٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير(٤٥١٠).

(٣) أخرجه مسلم(٨٤).

" إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ "(١).

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ(٢).

وفي الحديث تنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله(٣).

٥-اضرب بسهم في باب الصيام وظمأ الهواجر:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مُرْنِي بِأَمْرٍ آخُذُهُ عَنْكَ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ"(٤).

ومن عِظم فضل الصيام إضافته لله تعالى تشريفاً لقدره وتعريفاً بعظيم فخره، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَ اللَّهُ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ "(٥).

فالصوم من العبادات الجليلة، اختصه الله لنفسه ووعد عليه بالأجر العظيم، وهو وقاية من المعاصي ووقاية من النار، وسبب للبعد عنها يوم القيامة، فحري بالمؤمن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى(١٠٢٤٨)، صحيح الجامع الصغير (٣٢٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٣٧).

(٤) أخرجه النسائي(٢٢٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٠٤٤).

(٥) أخرجه البخاري(١٩٠٤)، ومسلم(١٦٣).

المبادرة إلى هذا العمل العظيم وتحمل ما فيه من المشقة اليسيرة التي يعقبها الفرح العظيم عند الفطر وعند لقاء الله عز وجل يوم القيامة(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"(٢).

كل هذه الأحاديث تدل على عظيم فضل الصيام، وشرف وعلو منزلة الصائمين، فاغتنم الفرصة.

٦-اضرب بسهم في باب الدعوة إلى الخير:

والدعوة إلى الله من أفضل القربات والطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله، والدعاة إلى هذي الله وسنة نبيه ﷺ أجرهم مستمر لا ينقطع، ومثوبتهم دائمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"(٣).

وقوله ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى)، أي من أمر الله وأمر رسوله ﷺ مما يهتدي به ونكَّرَه ليدخل فيه كل هدى حتى آداب الطريق وإماطة الأذى عنها، **قال الطيبي**: الهدى أما الدلالة الموصلة إلى البغية أو مطلق الإرشاد وهو في الحديث ما يهتدى به من الأعمال (كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ) في دعائه (مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ) إذ الدال على الخير كفاعله (لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ) الذي يعطاه من الأجر. (أُجُورِهِمْ) المتبعين له (شيئًا) ولذا كان المصطفى ﷺ أعظم الناس أجرًا لأنه ما من هدى إلا وهو الداعي إليه والدال عليه

---

(١) انظر الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية(ص: ٢٥)، للشيخ/ د. راشد بن حسين العبد الكريم.

(٢) أخرجه البخاري(٢٨٤٠)، ومسلم(١٦٨).

(٣) أخرجه مسلم(١٦).

وفيه فضل العلماء الداعين للعباد إلى الهدى، فصلوات الله وسلامه على نبينا وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين[١].

فليحرص كل واحد منا على دعوة أهله وإخوانه وجيرانه لاغتنام الأوقات الفاضلة في مواسم الخير، والموفق من وفقه الله عز وجل لاغتنام أوقاته فيما يرضي ربه، والخاسر كل الخسران من أبعده الله عز وجل عن طاعته وما يقربه من ربه.

ولله در سلطان العلماء العز بن عبد السلام حين تكلم عن بيان أحوال الناس على العموم فقال رحمه الله: " ومعظم الناس خاسرون، وأقلهم رابحون، فمن أراد أن ينظر في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة فإن وافقهما فهو الرابح إن صدق ظنه في موافقتهما، وإن كذب ظنه فيا حسرة عليه، وقد أخبر الله بخسران الخاسرين وربح الرابحين، وأقسم بالعصر إن الإنسان لفي خسر إلا من اجتمع فيه أربعة أوصاف: أحدها: الإيمان. والثاني: العمل الصالح والثالث: التواصي بالحق. والرابع: التواصي بالصبر.

واجتماع هذه الخصال في الإنسان عزيز نادر في هذا الزمان، وكيف يتحقق الإنسان أنه جامع لهذه الصفات التي أقسم الله على خسران من خرج عنها وبعد منها مع علمه بقبح أقواله وسوء أعماله؛

فكم من عاص يظن أنه مطيع، ومن بعيد يظن أنه قريب، ومن مخالف يعتقد أنه مُوافق، ومن مُنتهِك يعتقد أنه متنسِك، ومن مُدبر يعتقد أنه مُقبل، ومن هارب يعتقد أنه طالب، ومن جاهل يعتقد أنه عارف، ومن آمن يعتقد أنه خائف، ومن مُراء يعتقد أنه مخلص، ومن ضال يعتقد أنه مُهتد، ومن عمٍ يعتقد أنه مُبصر، ومن راغب يعتقد أنه

---

(١) انظر شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٢٥)، التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٢١٥).

زاهد؟ ، وكم من عمل يعتمد عليه المرائي وهو وبال عليه؟ ، وكم من طاعة يهلك بها المتسمِع وهي مردودة إليه؟ ، والشرع ميزان يوزن به الرجال، وبه يتيقن الربح من الخسران، فمن رجح في ميزان الشرع كان من أولياء الله، وتختلف مراتب الرجحان، ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران "[1].

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام(٢/ ١٩٣).

ملف العدد

الإنترنت وأعمال البر

لا شك أن شبكة المعلومات الإلكترونية قد فرضت نفسها على الواقع وهي وسيلة من الوسائل فقد تستعمل في الحق أو في الباطل، لذا لابد من الحذر في استعمالها في غير الحق، ولأنها وسيلة لا رقيب عليها ولا قيد، فقد يستثمرها البعض في الإضرار وتحصيل مآرب أخرى غير نافعة. فليتق الله كل مسلم ولا يحول هذه الوسيلة إلى وسيلة لنشر الفساد وابتزاز أموال الناس والدعوة للرذيلة وليراقب ربه وهو في خلوته ولا يراه أحد إلا الله، والله مطلع على ما في صدره وما تكنه نفسه وما يسطر قلمه {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ واللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤]، وقال سبحانه: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى مِنَ القَوْلِ وَكانَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } [النساء: ١٠٨].

لقد جعلت ما يعرف بثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات العالم كله كأنه قرية واحدة يسهل الاتصال بين سكانها بسرعة مذهلة عبر البريد الإلكتروني والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي أصبحت في السنوات الأخيرة من أبرز وسائل الإعلام والاتصال والتواصل الإنساني، فهي أسرع وسيلة لنقل المعرفة صوت وصورة ونص؛ وبذلك تفوقت على وسائل الإعلام الأخرى.

وعبر الإنترنت التي يستخدمها مئات الملايين في العالم يبرز دور العمل الخيري والإنساني وبخاصة في مجال الإغاثة الإنسانية فقد أصبح من اليسير أن نتعرف على أماكن الكوارث الإنسانية من زلازل وفيضانات وقت حدوثها ومعرفة حجم الكارثة والخسائر وعدد المشردين وعدد البيوت المهدمة؛ وذلك يفيد في التخطيط الجيد لحملة الإغاثة لهذه المنطقة. والإنترنت يمكن أن تفيد أيضا في التواصل المستمر مع الشعوب المختلفة وتقدير احتياجاتها من المشروعات الخيرية والتنموية والكفالات ونقل هذه الاحتياجات إلى أصحاب الأيادي الخيرة في العالم.

فلا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعى إليها، ولهذا يجب أن نستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري، وكطريق سريع لصناعة الخير.

ولقد أصبح التبرع عن الطريق الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة من وسائل التعجيل بالبر والعمل الصالح، وهي من أسرع الوسائل لإدخال السرور على المسلم.

مميزات شبكة الإنترنت:

١- سرعة وضمان انتقال المعلومات: حيث يستطيع أي فرد أن يرسل خطابًا إلى ملايين الأفراد في وقت واحد من خلال الإنترنت، بعكس البريد العادي الذي يستغرق أيامًا بل أسابيع، والعكس صحيح أيضًا، إذ يستطيع ملايين الأفراد تعرف معلومة معينة أو رسالة أو نبأ في وقت واحد إذا عرفت مكانها، وهذا هو المتبع في وكالات الأنباء العالمية، مثل CNNوغيرها.

حيث تضع الأخبار والنشرات الجوية على أجهزة الكمبيوتر، ويستطيع ملايين الناس الحصول على هذه الأخبار دون انتظار.

٢- سرية المعلومات: وهذه السرية تأتي من أن كل جهاز مرتبط بالإنترنت له رقم خاص به أو اسم معروف به، وبالتالي يستطيع أي فرد أن يرسل رسالة إلى جهاز بعينه ويضمن أنها خزنت بداخله، ويطمئن إن كانت وصلت أم لا، ووقت الاستلام، ويستطيع المرسل إليه الرد الفوري على الرسالة.

٣- تبادل المستندات: يمكن إرسال واستقبال أي مستند من أي جهاز كمبيوتر مرتبط بالإنترنت مهما كان نوع المستند وحجمه، سواء كان خطابًا أو مذكرةً أو كتابًا أو شريط كاسيت أو فيديو

٤- الحديث والمشاورة وعقد المؤتمرات: لا تحتاج إلى شراء كمبيوتر خاص أو أجهزة اتصال معتمدة، فأي جهاز كمبيوتر يصلح ما دام تم ربطه بخط تليفون، ولا يحتاج الإنترنت إلى مستوى علمي أو فني عال للتشغيل.

٥-التسوق من خلال شبكة الإنترنت:

يمكن طلب مختلف أنواع البضائع التي ترغب الحصول عليها دون الذهاب إلى السوق أو مغادرة البيت. فيمكن شراء مختلف المواد كالكتب وغيرها.

٧-مجموعات النقاش:

يمكن الاشتراك مع مجموعات النقاش من خلال شبكة الإنترنت للالتقاء بمختلف الأفراد والشخصيات حول العالم ممن لهم الاهتمامات ذاتها. ويمكن توجيه أسئلة إليهم أو تقديم أفكار أو مناقشة قضايا هامة

٨- تحويل الطاقات الشبابية ووقت الفراغ لعمل نافع يفيد الشاب نفسه قبل إفادة المجتمع، كذلك فهو يحل مشكلة المكان؛ فقد أصبح لا وجود لها في ظل العمل التطوعي الإلكتروني؛ وبالتالي اختفت مشكلة وسائل الانتقال والمواصلات.

٩- وجود مشاركة متطوعين من مناطق ودول مختلفة، وكذلك أتاح فرصة للنساء للعمل به خصيصا لمن لا تريد الاختلاط والعمل على أرض الواقع، وأيضا عدم تحمل المتطوع فوق طاقته، فعندما يحب أن يستريح فهذا أصبح بإرادته ووقتما يشاء، ويتيح له حرية اختيار الزمان والمكان المناسب له، كما أنه يمنع التضارب، ويحول دون الإحباط. .

١٠- أما الميزة الكبرى به، فهي أن هناك بعض الحالات الإنسانية التي تمنع محبي التطوع من التطوع التقليدي، مثل: الإعاقات الجسمية، فمن خلال الإنترنت يستطيع أن يتحدى إعاقاته من خلال مشاركاته الفعالة مع أصحابه[١].

أسباب إنشاء مواقع العمل الخيرى:

وحول الهدف من إنشاء موقع للأعمال الخيرية كانت المسببات التالية:

---

(١) انظر: الاستفادة من الإنترنت في العمل الخيرى الدكتور جاسم مهلهل الياسين، الإنترنت وتطبيقاته في العملية التعليمية، والتطوع عبر الإنترنت يزيل العقبات.

١- السرعة والدقة في توصيل المعلومات والبيانات المتعلقة بمشروعات وكفالات العمل الخيري سواء لمناطق العمل أو للمتبرعين والجهات الداعمة.

٢- التواصل الإلكتروني مع المتبرعين وإطلاعهم على الجديد في العمل الخيري من خلال النشرات الدورية التي يتم إرسالها إلى البريد الإلكتروني.

٣- توسيع دائرة اختيارات المتبرعين للمشروعات والكفالات التي يرغبون التبرع لها بعرض كم كبير من المشروعات والكفالات قد لا يتسع لها الإعلاميات المطبوعة.

٤- المتابعة المستمرة للمشروعات التي تم تنفيذها بنشر معلومات عن مراحل تنفيذ المشروع المتبرع له أو مراحل كفالة المكفول الذي تمت كفالة وعرض التقارير الدورية للمشروعات والكفالات.

٥- نشر أخبار العمل الخيري وإنجازاته ومتابعة ما ينشر في الصحف ووسائل الإعلام.

٦- دعم التواصل والتعاون مع المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي.

أهم الأعمال التطوعية التي يمكن للمتطوع أن يقوم بها من خلال وسيلة الإنترنت

١ - التفكير في إنشاء مواقع إسلامية تخدم قضايا لم تطرح في مواقع أخرى أو التخصص في جانب معين من أمور الإسلام.

٢ - تكون فريق عمل يخدم المواقع الموجودة بالكتابة أو غير ذلك من وسائل الخدمة.

٣ - من له لمسة إبداع في التصميم أو الفلاش أو الفيديو فلينزل للمواقع ويبدأ في الخدمة والتعاون ولو كان بمبلغ مالي.

٤ - دعم المواقع ماديًا وهذه مهمة أصحاب الأموال؛ لأن المواقع تدفع أموالًا للشركة المستضيفة لها وللموظفين وللإعلانات وغيرها من حاجيات المواقع.

٥ - فتح مجال التخفيض لأجل الإعلانات لأصحاب المواقع الإسلامية في الجرائد أو القنوات أو بعض المواقع الإعلانية.

٦ - دعوة العلماء وأصحاب الأقلام للكتابة في المواقع والمشاركة بالإجابة على الفتاوى والاستشارات.

٧ - توضيح أنشطة المواقع ودورها في نفع الناس عبر وسائل الإعلام.

٨ - الاستفادة من المقالات والفتاوى الموجودة في المواقع ونقلها إلى المنتديات والمواقع الأخرى لينشر الخير.

٩ - نقل الصلوات والمحاضرات عبر البث المباشر، ولقد انتفع بهذه الوسيلة المئات، وخاصة المسلمون في البلاد البعيدة.

١٠ - رفع المواد الصوتية من تلاوات ومحاضرات لتتم الاستفادة منها بالسماع.

١١ - تغطية الفعاليات الدعوية التي تكون في المدن والمحافظات وتنزيل ذلك في المواقع والمنتديات وفي ذلك إبراز للأنشطة وإعلان لها.

١٢ - الاستفادة من البريد الإلكتروني في نشر المفيد من الأخبار والمقالات والصور وغيرها، مع الحرص على عدم نشر المواد غير الموثوق منها أو التي تحوي مبالغات أو أحاديث لا تصح.

١٣ - مراسلة المواقع بالنقد والنصيحة، مع التزام الأدب والإنصاف في النقد.

١٤ - الإعلان عن المحاضرات والأنشطة عبر المواقع مما يكون سببًا في نشر الوعي بها ومعرفتها.

١٥ - الإعلان عن المواقع المتميزة في المجالس والمنتديات واللقاءات.

١٦ - الاهتمام بالمرأة عبر المواقع المتخصصة لها، والتي تراعي حاجياتها وشئونها ومسائلها كل ذلك بتصميم متميز وبرمجة رائقة تناسب متطلبات التقنية.

١٧ - العناية بالرد على أصحاب الفكر الضال من علماني أو ليبرالي أو تكفيري أو مبتدع منحرف وتأصيل الرد بأدلة الكتابة والسنة مع مراعاة فقه التعامل مع المخالف.

١٨ - الاهتمام بأحوال المسلمين وأخبارهم مع الحرص على الخبر الموثوق الذي يعتمد على الدليل القاطع.

١٩ - إنشاء ملفات خاصة بحَدث معين أو موسم معين كما تفعله بعض المواقع، وفائدته: " جمع أهم ما يتعلق بالحدث من مواد مكتوبة أو صوتية ".

وهكذا لا يترك المسلم وسيلة للخير إلا طرق أبوابها وسعى إليها، ولهذا يجب أن تستفيد من الإنترنت والتقنيات الحديثة كوسيلة من وسائل دعم العمل الخيري والطريق السريع لصناعة الخير.

فصناعة الخير لا تنتهي من حياة المسلم، فهو بينها يتقلب، يغرس شجرة الخير في كل مكان وبكل الوسائل المشروعة[١]

(١)باختصار وتصرف من موسوعة التطوع لفضيلة الشيخ أحمد بن سليمان.

الفهـــــرس

الطوفان الخاسر ٢
القناعةُ كنزٌ ثمينٌ ٧
أحوال أهل القبور ٢١
مصعب بن عُمير أول سفير في الإسلام ٢٧
ثمرات العمل الصالح ٣٧
وقفات تربوية مع شهر شعبان ٤٨
تحويل القبلة. . . . و دروس للأمة ٥٨
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٧١
مواسم الخير أقبلت. . . فاضرب بسهم ٧٨
ملف العدد الإنترنت وأعمال البر ٩٣

تهنئة

تهنئة خاصة من اللجنة العلمية بجمعية أنصار السنة فرع بلبيس لفضيلة الدكتور **محمد سيد محمد ضحاوي** - المشرف على طباعة كتاب الواعظ- وذلك لحصوله على رسالة الدكتوراة (العالمية) من كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، وكان عنوانها " **أثر السياق في توجيه المعنى عند القاضي عياض والقرطبي من خلال شرحيهما لصحيح مسلم**"

راجين من الله له ولطلبة العلم مزيدًا من التوفيق والتقدم